احتفالية سماء الإبداع

نوفيلا

كدة أزل

قسمة الشبيني

des:shaimaagonna

كرت أزل

قسمة الشبيني

تصميم الغلاف :
Shimaa gonna

تعبئة وتنسيق وتحميل الرابط
وغلاف داخلي :ميجو

قبل ما نبدأ احب أنوه إن شخصيات الأسرة كلهم شخصيات حقيقية وأغلب الأحداث بينهم حصلت فعلا.

الفصل الأول

يشرق نهار الكادحين عادة قبل شروق الشمس التى أصبحت تتلهف للقياهم ولتبخير قطرات العرق التى تكلل وجوههم بلؤلؤات متناثرة فوق الجباه.

أسرع شاكر إلى سيارته التى تمكن بعد سنوات من الكفاح أن يحصل عليها ، ليست سيارة فارهة تحمله لعمله ؛ بل سيارة أجرة كفته شر الحاجة لسيارات يعمل عليها سائقا ويقطر عليه صاحبها فى دفع أجرته اليومية . ورغم ذلك لم تدفعه الحاجة مطلقا إلى اختلاس بضع جنيهات.

ها هو أخيرا له سيارة خاصة ، فرك كفيه بحماس قبل أن يقبل ظاهر كفه وباطنه مرددا :

اللهم لك الحمد والشكر . يارب أغنيها بالحلال كرامة لحبيبك النبى.

تحرك بالسيارة مغادرا حيه الذى دبت فيه الحياة . الصيادون هنا وهناك يعرضون ما جادت به الأقدار عبر شباكهم رغم اهتراء معظمها ، فهذا هو حى السيالة الذى تدب فيه الحياة مع صلاة الفجر.

هدأ سرعة السيارة بجوار أحد الصيادين : صباح الفل يا عبد العزيز

ابتسم الرجل لتظهر تشققات وجهه التى صب البحر أملاحه فيها : صباح الورد يا شاكر .. هتشترى سمك ؟

توقف شاكر ليترجل عن السيارة : واحد غالى عليا عاوز أكلة سمك حلوة .. بكام اللوحة

دى ؟

ابتسم عبد العزيز باستحسان : طول عمرك ناصح .. بس هتاكل فيها لقمة ولا مشال بس ؟

حك شاكر ذقنه لفطنة الرجل : هناكل فيها لقمة يا عبده ، ريح السعر بقا.

أومأ بتفهم : يبقى تاخدها بخمسين جنى وتديهاله بسبعين وسيدى المرسى مانطلعها من هنا بأقل من كده يا جدع.

أخرج شاكر المال : ماشى قولك يا عبده عبيها خلينى نطلع على أكل عيشى.

****

دار شاكر بين طرقات المدينة الزاهية طيلة النهار ليعود منهكا بعد أن أرخى الليل وشاحه

الأسود بساعات ل

..يمر فى هدوء الليل إلى منزله مباشرة حيث تنتظره زوجته سعاد وأبناؤه الثلاثة ؛ محمد ومحمود وحامد.

دخل يجر قدميه للأريكة مباشرة فيلقى ثقل بدنه الذى ناءت بحمله الأقدام ، أقدمت زوجته تبتسم ليرى أن ثمة ما سيطرح ولن يعجبه فى الغالب.

جلست تعاتبه برفق لا يطمئن له : كده بردو يا شاكر . مش أنى قلتلك تيجى تتغدى الضهرية ؟!

خلع سترته ليتوسدها : يعنى نسيب أكل عيشى ونيجى نتغدا ما انى كل يوم بناكل ايوتها حاجة واتعشى هنا وخلصنا.

لوت شفتيها بإمتعاض واضح : الحق عليا إنى بنخاف عليك .. أنت حر

صمتت لحظات ثم حمحمت : شاكر فى موضوع عاوزة نتفاهم معاك فيه.

ابتسم شاكر بتهكم : نتفاهموا ولا نتعاركوا ؟ عاوزة إيه يا سعاد ؟

ربتت فوق صدره برفق : نتعاركوا ليه بعد الشر !! حد يقول للمصلحة لا ؟
اعتدل جالسا : وايه المصلحة بالصلاة على النبي ؟

اتسعت ابتسامتها : انت يا اخويا ربنا كرمك بالتاكس وخلاص هيتوفر قرشين .. انى عاوزة نفتح محل منظفات على القمة ، الحتة زى ما انت شايف مفهاش محلات ..هنعمل زبون بسرعة

ونكسب دهب.

دقق النظر لها : ونجيبوا تمن البضاعة منين يا سعاد ؟ انى مش هندين نفسى ولا نكتب كمبيالات.

رفعت رأسها بزهو : لا ماتخفش انى عاملة حسابى وداخلة جمعية هنقبضها أول الشهر ندفعها للتاجر ونجيب على قدها وواحدة واحدة الدنيا هتحلو معانا

إنها مستعدة بالفعل لكل ما قد يضعه فى طريق مشروعها ذا ، رأيه الذى تدعى الاهتمام به ليس سوى رأيا صوريا لن يبدل أى من مخططاتها.

هز رأسه بأسف : ما انت عاملة حسابك على كل حاجة. عاوزنى نعمل لك إيه ؟

عادت تبتسم له ظنا أنه يثنى عليها : ولا حاجة

يا سيد الرجالة ..كلم بس صاحب المحل وانى هنمضى العقد باسمى.

زفر بضيق متلفتا حوله بحثا عن أبنائه ومقررا تغير مجرى هذا الحديث العقيم : العيال فين ؟ أشاحت بكفها بلا اهتمام : اهو محمد رجع من المصنع هلكان ودخل ينام .. ومحمود زى عوايده مع أصحابه لسه مارجعش وحامد ربنا يرضى عليه زى ما قلبى راضى عنه ، بيذاكر قلب أمه من بدرى.

وقف شاكر محتدا : أنى مش قولت ألف مرة محمود مايتأخرش عن تسعة !! يا ولية اوعى لعيالك شوية .. لما واحد منهم يضيع محدش هينفعنا.

تقدم نحو غرفته لتشيح بكفها مرة أخرى :

أيووووه عليك راجل وش غم .. أما نقوم نعدى على الولية أم مسعد نأكدوا عليها تلم الجمعية وتجبها قوام .. عيشة تقصر العمر.

وضعت حجابا مهملا فوق رأسها واتجهت للخارج لينتبه شاكر على صوت إغلاق باب المنزل فيتوعد لها حين تعود ، لقد حاول مرارا تغيير سوء طباعها بلا جدوى ، ترى نفسها على صواب دائما ولا تقبل أن يقدم لها نصحا أو إرشادا.

قبل كل عيوبها وتغاضى عنها لتظل سفينة الحياة تبحر بأمان ، لكنه لن يضحى بصغاره لأجل هذه السفينة الخربة.

يعلم أنها تفرق بين أولادها فى كل شىء ولكن ما يريحه حتى الآن أن أحدهم لم يتضرر من تفرقتها تلك.

همس بقلق : يا ترى انت فين يا حودة ؟؟

هذا هو أكبر مخاوفه ولده الأوسط

****

بأحد الأركان المظلمة اجتمع أربعة شباب ينظر ثلاثة منهم لكف الرابع الذى يحمل كيسا صغيرا يحوى مسحوقا أبيض ، ابتلع محمود ريقه بخوف : أنت اجننت يا جدع ؟ إحنا مانقدرش على الكيف ده.

ابتسم الأخر مطمئنا : ماتخافش يا حودة هو انى بنقولك هنجيبه علطول ؟ لما الدنيا تزهزه بس

نهره ثالث : ولما نتعود عليه يا مسعد ؟ لا يا عم

انى مش هنغير كيفى ..اهو على قد القرشين اللى باخدهم من ابويا.

نظر له مسعد بتأفف : بطل جبن يا سمير هو انى هندفعك حاجة ؟

أسرع سمير يمد كفه ملتقطا الكيس بشراهة واضحة : يدوم العز يا مسعد .. سيبك منهم دى عيال فقرية.

ابتسم مسعد بينما راقب محمود وحسين سمير الذى يستنشق هذا المسحوق مغمضا عينيه بتلذذ قبل أن ينظر لهم مجددا : ايووه الجنة بعينها.

قدم الكيس ل محمود : جرب يا حودة .. ده انى طاير فى السما.

تلفت محمود ينقل نظراته بينهم بقلق ، وكزه مسعد بكتفه مشجعا : مد ايدك يا حودة دى فرصة.

عاد محمود يبتلع ريقه بقلق ليسرع سمير معدا جرعة فوق كفه ومقدمها له ، نظرة أخيرة نحو مسعد كانت تشجيعا كافيا ليمسك كف سمير مستنشقا ذلك المسحوق رغبة فى متعة ليست مؤكدة أو طويلة.

أصبح ثلاثتهم فى نفس الموقف يحاولون دفع حسين لتجربة جرعة واحدة فكان رده مغادرتهم ، حاول محمود اللحاق به ليترنح فيمسك به مسعد : سيبه يمشى ده هيطير الدماغ ودى متكلفة ، بقولكم إيه مفيش غير الترام دلوقتى.

أمسك محمود جانبى جبهته ونظر لهما بعدم فهم ليرفع سمير ذراعه محيطا كتفيه : تعالى معانا وهتفهم وتنبسط كمان.

سحباه بسهولة ليترك لهما قيادة خطواته حتى عادت سيطرته على نفسه وتوازنه.

****

عادت سعاد بعد ساعة كاملة لتجد شاكر متأهبا لعودتها ، دخلت تخفى تذمرها ليقف أمامها : مابدرى يا هانم .. انت خلاص مالكيش راجل تشوريه وانت خارجة ؟

ابتسمت بتكلف : هو انى خرجت ؟؟ ده انى روحت لأم مسعد

نهرها بحزم : لام مسعد ولا غيرها ما تخرجيش من غير اذنى انى مش طرطور .كان يوم ما يعلم

بيه إلا ربنا يوم ما جينا الحتة دى .انى عاوز نوسع عليكم ونريحكم وانت كيفك تحرقى دمى .سمعت اللى بنقوله يتنفذ.

أومأت بطاعة ظاهرة : حاضر يا شاكر ماكنتش غلطة هتمسك فيها !! هروح نجيب لك الاكل

.

أوقفها : مش عاوز سديتى نفسى.

وتقدم نحو غرفته متذمرا من إهمال زوجته وسوء تصرفها الذى يعانى هو ويلاته ويخشى أن تطال هذه الويلات أبنائه الذين هم أخر اهتمامات زوجته ، لقد صب قلبها على القسوة إلا من بعض لين تقسمه على محمد وحامد متغافلة عن محمود سهوا أو تعمدا.

*****

بعد منتصف الليل تسلل محمود ومسعد نحو منزليهما المتجاورين اتجه مسعد نحو منزله وكذلك محمود صحبه ليستخدم شباك غرفة مسعد للوصول لشباك غرفته الذى تركه مفتوحا ليتسلل منه حين عودته تهربا من أبيه الذى يضيق الخناق عليه فى كل تصرفاته معتمدا أن أمه لن تتفقده وسيخبرهما فى الصباح أنه عاد مبكراً.

صعدا للدور الثانى ليخرج محمود نصف بدنه العلوى فيهمس مسعد : اوعى تطب يا جدع وتجيب لنا مصيبة!!

ضحك محمود : خايف على روحك يا واطى . ماتخافش انى نفوت فى الحديد.

أستلقى محمود فوق فراشه وقد تخبطت أفكاره ،
ما الذى أقدم عليه توا ؟؟

لا يصدق أنه أصبح بهذه الدنائة.
دمعت عينيه ، لقد سار بهذا الطريق متبعا خطى
مسعد الذى تعرف عليه مؤخرا بعد انتقالهم لهذا
المنزل.

زفر حيرته وضيقه لم تكرهه أمه !؟
سؤال يتكرر يوميا ولا يجد له إجابة.
ربما لعدم خضوعه لها كأخويه!!!

وهل عليه الخضوع ؟؟

تثاقلت أجفانه وهو يتذكر حين أخبرها بعد
إنهاء دراسته الثانوية الفنية أنه يرغب أن يكون
سائقا كأبيه.

وتشوهت الذكرى الكريهة مع ذبذبات الراحة
التى تطن بإذنيه ليستسلم للنوم

الفصل الثاني

استيقظ شاكر مع الفجر كعادته ، توجه لغرف أبناءه لإيقاظهم ، دخل غرفة محمد ليهزه برفق فيتأفف ، فتح عينيه ينظر لأبيه : نعم يا بابا

ابتسم شاكر : قوم يا محمد نصلى الفجر.

سحب الدثار فوق وجهه : كلها ساعة ونقوم للمصنع نبقى نصلى.

هز شاكر رأسه بأسف وغادر الغرفة ، لكم حاول دفع أبنائه لإقامة الصلاة بلا فائدة.

حاول دخول غرفة محمود ليجد الباب مغلقا ، طرقه عدة مرات قبل أن يسمع تخبط ولده وخطواته المتقدمة من الباب ، فتح الباب بوجه ناعس ليرى تجهم أبيه المتساءل : شرفت امته

بالليل ؟

اتسعت عينا محمود ببراءة : انى نايم من بدرى قبل ما ترجع يا بابا.

زاد تقطب جبينه : امك قالت إنك برة لما رجعت

رفع محمود كفه يخفى كذبه وملامحه : لما رجعت كانت نايمة . هنروح نتوضأ علشان الفجر .

وتجاوز والده للخارج ليصدق الأخير إدعائه ملقيا باللوم على استهتار زوجته.

اتجه شاكر لغرفة ولده الأصغر والذى رفض تماما التخلى عن النوم لأجل الصلاة لينتهى به الأمر يصلى وولده الأوسط محمود.

*****

جلس شاكر أمام أطباق الفطور المتواضع الذى قدمته له زوجته لينادى ولده : ماتيجى يا حودة تفطر ؟

اتجه محمود نحو غرفته : هنبقى نفطر بعدين أنى هنام ساعتين كمان.

بدأت سعاد الحوار بتساؤلها : انت جيت امته يا ولا ؟

لم ينظر لها بينما أجابها شاكر : جه بدرى وانت نعسانة يا ست ولما نسألك ترمى عليه اللوم.

احتدت سعاد : ما هو علطول قافل عليه باب الأوضة مانعرفش امته بيجى ولا امته بيمشى ويتسحب زى الحرامية.

نفض شاكر يديه عن الطعام فرغم شعوره بالجوع إلا أن شهيته معدومة ، إلتقط مفاتيحه

ليغادر فلا أمل فى راحة أو سكينة بهذا المنزل.

دارت الأيام دورات شاكر بين الطرقات ؛ سريعة ومتشابهة ، لم تتخل سعاد عن مشروعها الذى تنتظر أن يدر عليها أرباحاً تكفى تطلعاتها.

أمام إلحاحها المستمر توجه شاكر لصاحب المتجر واتفق معه أن تستأجره زوجته لتبدأ فور حصولها على عقد الإيجار تكديس البضائع مما أثار شكوك شاكر عن كيفية حصولها على هذا المال الذى وفر كل هذه البضائع.

مر شهر كامل افتتحت خلاله المتجر ولعدم حصول محمود على عمل دائم بعد إنهائه دراسته المتوسطة ألزمه والده مساعدة والدته أملا أن

يجد طريقه فى التجارة مستقبلا.

رغم أن عملها لم يستمر لشهر كامل إلا أنها بدأت تلقى بإهمالها على انشغالها بالمتجر مما أدى لزيادة الخلافات بينهما والتى كانت مجالا متاحا لتهرب محمود وتحايله للحصول على مايتجرعه من سموم.

رأت سيارته تمر لتسرع نحو المنزل قبل أن يوبخها ، ليس المتجر هو كل ما يشغلها ؛ بل أحاديث النساء التى لا تنتهى والتى تخترق كل الحواجز وتطال الأعراض وتشوه النفوس والأرواح.

دخلت لاهثة لتجده يجلس عاقدا ساعديه متربصا لدخولها فتقول فورا : انت عارف انى مشغولة فى الدكان لشوشتى اوعى تتعارك نص

ساعة ونحضر لك الأكل.

نظر لها بقتامة : مشغولة فى الدكان ولا فى الرغى مع خرابة البيوت اللى انت مصحباها وماشية وراها.

تأففت وهى تتجه للمطبخ : ايوه عليك يا شاكر هى جت جمبك ولا جابت سيرتك ؟
تهكم شاكر : وانى هنستناها تجيب سيرتى ؟ دا أنى نقطع لها لسانها اللى مش سايب حد فى حاله.

صمت أثر اختفاءها الذى أراحه وما هي إلا دقائق حتى دخل محمود ملقيا التحية ، سمعت صوته لتهرول للخارج : انت قفلت الدكان يا ولا ؟ تبقى تتقفل فى وشك أبواب الرحمة يا بعيد
نظر لها محمود بلا مبالاة بينما انتفض شاكر : اتق اللّه يا ولية .. دى دعوة تدعيها على ابنك ؟

حبست غيظها ليشتعل وجهها غضبا ويتابع شاكر : انت لسانك ده ايه مبرد ؟ اعووذ باللّه

واتبع حديثه بالدخول لغرفته وصفع الباب ، أشاحت بكفها تذمرا فقد اختفى محمود أيضا وخسرت فرصتها فى توبيخه.

****

اجتمع شاكر وأسرته الصغيرة ذات يوم لتناول الطعام فى حدث قلما يتكرر ، دارت عينيه بين أبنائه برضا تحول لحزن فور إستقرار عينيه فوق ملامح محمود الباهتة ، حمل سمكتين من أمامه ليضعهما أمام ابنه : كل يا حودة.. انت شكلك مش عاجبنى ابدا.

ابتسم محمود فورا وبدأ يتناول الطعام رغم زهده فيه ويحاول صرف انتباه أبيه عنه : انى مابنحبش الأكل طول عمرى هههههه.

اسرع محمد مقاطعا ونافثا بعض احقاده : اشمعنا حودة بتأكله وانى مانشبهش ؟

تابع حامد بغل لم يره أبيه : كل يا حودة بابا بنفسه بيأكلك.

ضحك شاكر وبدأ يستعيد بعضا من ذكريات طفولة أبناءه وكان هذا كافيا لصرف انتباهه عن هزال محمود الذى ظهر مؤخرا وسرعان ما شاركته زوجته لتتحول جلستهم إلى دفء محبب كان كافيا ليتغاضى شاكر عن العمل ذاك اليوم ويكتفى بمجالسة أسرته.

****

كان بقاء شاكر بالمنزل ذلك اليوم أسوأ من مراقبته محمود طيلة اليوم فالأخير بحاجة للخروج للحصول على حاجته من المخدر ، بدأ يشعر بسيلان الأنف واستعمل العديد من المحارم لينظر له أبيه بشفقة : مالك يا ابنى ؟

تحدث محمود بعدم إتزان : شكلى هناخد دور برد معتبر هنقوم نريح شوية.

تحرك شاكر نحو المطبخ : ماتنامش هنعمل لك حاجة دافية.

لوت سعاد شفتيها بتهكم واتجهت للخارج : وانى هنطل على الدكان ومش هنعوأ.

وتبعت قولها بتنفيذه ليهز رأسه بأسف ويتابع طريقه ، دقائق ودخل لحجرة محمود الذى كان يرقد بإعياء واضح ، إقترب ليضع الكوب فوق

طاولة صغيرة ويهزه برفق : محمود.

فتح محمود عينيه ليحول ألمه دون محاولة تبسمه ، ربت فوق صدره بحنان : قوم يا حبيبي اشرب اللمون ده وخد المسكن ده ونام للصبح.

أخيرا بعض الراحة متجسدة فى تلك الكبسولة بكف أبيه ، إلتقطها مسرعا وابتلعها فورا دون سوائل ، قدم له أبيه الكوب وراقبه حتى انهاه ثم تركه طالبا منه الخلود للراحة.

مع إغلاق باب الغرفة بيد شاكر تردد صوت سعاد التى تصرخ : عاوز تبقى سواق تاكس وتعيش طول عمرك شحات زى ابوك ؟؟

اغمض عينيه مواريا ألمه حتى عن نفسه ، لم يخبر أبيه مطلقا بما يرغب ، إخبار ابيه يعنى مزيدا من الخلافات والصراعات التي لن تنتهى

ويتلقى هو الملامة عليها أجمع.

تعامل منذ سنوات مع معاملة أمه له لكن ما يحدث من شقيقيه مؤخرا عبء جديد ثقيل لا يقوى قلبه على تحمله.

بدأ المسكن يسرى بعروقه لينعم ببعض الراحة رغم علمه أن سرعان ما سيزول الأثر وتعود حاجته للمخدر تنخر اوصاله.

مد كفه ملتقطا هاتفه يجب أن يحصل على جرعته قبل عودة الألم غير المحتمل.

*****

اتجه شاكر أيضا للنوم عقب ترك محمود ، ف محمد ينام مبكرا أو هكذا يزعم ؛ يعلم أنه

يحادث خطيبته هاتفيا حتى أوقات متأخرة من الليل ، وحامد لن يجالسه بالطبع فهو لا يهتم سوى لمذاكرته ولنفسه ومستقبله الذى يرسمه.

******

عاد من أفكاره عن أبيه ليلتقط هاتفه ويطلب مسعد الذى تباطئ فى الإجابة ليرجوه بمجرد أن سمع صوته : مسعد انى بنمووت يا مسعد .. إلحقنى يا جدع راسى هيطير وجتتى قايدة نار سأله مسعد فورا : لما انت تعبان كده معسكر فى البيت ليه ؟

انتفض محمود : هنعمل ايه ابويا قاعد فى البيت مانقدرش نخرج .. انى هنقفل الباب ونعدى لاوضتك يا مسعد .. ماتتأخرش عليا نبوس ايدك.

أنهى الاتصال وتحرك من فوره يتحسس خطاه ليحكم إغلاق باب غرفته ، إتجه إلى الخزانة وعبث بها مخرجا المال الذى تذلل لأخيه حامد ليقرضه إياه ، دسه بجيبه وإتجه نحو شباك الغرفة.

****

كان مسعد بصحبة سمير وحسين حين ورده اتصال محمود وما إن انهاه حتى عاتبه حسين : ارتحت يا مسعد !! اهو محمود اتعود على الزفت اللى بتديهوله وهتضيعه معاك.

نظر له مسعد بدهشة : هو انى ضربناه على أيده ؟؟ وبعدين انت قاعد معانا ليه ؟ لا ليك فى مزاجنا ولا بيعجبك حالنا .. فارقنا يا جدع ماتطيرش الكيف من راسى.

انتفض حسين واقفا : أنى غلطان إنى عاوز

نساعدكم تبطلوا القرف ده .. أنى هنروح وانتو كل واحد عقله فى رأسه.

انصرف مسرعا لينظر سمير ل مسعد معترضا : مشيته ليه بس اهو كان بيروحنا اخر الليل.

ضحك مسعد : بكرة يجى تانى .. المهم قوم نروحوا عندى الواد حودة زمانه على نار.

اعترض مجددا : لا يا جدع امك لسانها متبرى منها وانى مش عاوز نطير الدماغ .. أنى هنروح نشوف حالى ..سلام

وانطلق مبتعدا يلتهم سيجارة غريبة الهيئة وكأنه بحاجة للمزيد من غياب العقل.

******

خرج محمود من شباك غرفته معتمدا على قرب المسافة بين نافذته ونافذة مسعد ، لكنه فى

هذه اللحظة لا يرى بشكل واضح فهذا المسكن الضعيف الذي تجرعه لم يمنحه راحة لدقائق وعاد ألمه ، عقله مشوش ، بدنه ينخر الألم بين خلاياه مفجرا براكين تكوى صدره وبدنه ، عظامه تتكسر تباعا فلم يعد يعلم أى جزء من بدنه يؤلمه أكثر.

زحف نحو نافذة مسعد وهو يمسك حافة نافذته بكف ويجفف تعرق الكف الآخر بملابسه ويتناوب بين كفيه المتعرقين ، اقترب حتى أصبحت حافة نافذة مسعد فى متناول يده.

مد كفه بعد تجفيف تعرقه مجددا يمسك بحافة الشرفة لكن خانه كفه المتعرق وخانته قدمه وسائر بدنه ليهوى نحو الشارع وفى لحظة إرتطم بالرصيف ليصرخ ألما وكأنه يتحمل المزيد.

الفصل الثالث

انتفض شاكر تابعا صوت الصرخات الواردة من الخارج وما إن طل من شرفته مستطلعا الأمر حتى رجف قلبه قبل بدنه وهو يرى ولده الأوسط ممددا غارقا فى دمائه.

هرول للخارج ليصل فى لحظات وهو ينوح بألم :

انا لسه منيمه فى فرشته بإيدى

جثى أرضا : محمود .. رد عليا يا حبيبي.

هزه أحد المتجمعين : قوم يا عم شاكر نودوه المستشفى .. دمه هيتصفى بالشكل ده.

وما إن همو بالتنفيذ حتى أوقفهم صوت معترض :

اوعوا تحركوه لو مكسور تعملوا له عاهة.

توقفت الأيدى التى كانت تتسابق لحمل محمود وأسرع ذلك الشاب يطلب الإسعاف ليظل شاكر

جواره وقلبه ينزف ربما أكثر من نزيف هذا البدن الذى تتخلى عنه الحياة في لحظات فيزداد شحوبا وبرودة.

****

جلس شاكر تجاوره سعاد بصمت ويقف بالقرب بعض من شباب الحى منهم مسعد الذى يتوجس من القادم فى إنتظار خروج الطبيب ، يمر الوقت بطيئا ولا يملك أى منهم سوى الانتظار.

استغرق تجبير قدمه وتدعيم ذراعه قرابه الساعتين ولم يتحدث أى منهم إليهم طيلة هذا الوقت.

أخيرا خرج الطبيب باحثا عن ذوى المريض ليتقدم إليه شاكر فيطلب التحدث إليه منفردا.

إستقر شاكر أمام الطبيب الذى لا تبدى ملامحه ما يبث الطمأنينة لقلب شاكر ويزيد صمته من مخاوفه ، ترك أوراقه التى إنشغل بها ثم نظر نحو شاكر : انا هقول لحضرتك على حاجة مهمة وارجو انك تتصرف بحكمة.

تلهف شاكر وزاد فزعه : فى إيه يا دكتور ؟ ابنى جرى له إيه ؟

تحدث الطبيب بهدوء : حاليا هو كويس ، كسر رجله هياخد تلت شهور تقريبا وهنتابعه ودعامة دراعه دى بسيطة اسبوعين بالكتير.

تنفس شاكر متمتما الحمد للّه ليتابع الطبيب : الموضوع اللى هتكلم فيه مالوش علاقة بالحادث ولا الإصابة.

تقطب جبين شاكر بعدم فهم لينظر له الطبيب مباشرة ويقول : ابن حضرتك مدمن للاسف.

ظل شاكر ينظر له وكأنه لم يستمع أو يرفض عقله إستيعاب ما تفوه به الطبيب الذى قال : طبعا موضوع زى ده محتاج تتصرف بهدوء وتكون متفهم وصبور علشان تقدر تساعده يتجاوز المحنة دى من غير ما يفكر يرجع للأدمان.

هز شاكر رأسه بشرود ونهض متجها للخارج ليهز الطبيب رأسه بأسف تاركه يتعامل مع صدمته وهو يعلم أنه سيعود إليه لاحقا.

****

إقترب شاكر من العنبر الذى يرقد فيه محمود ، تقدم متطلعا لوجهه الشاحب ، لقد رأى كل هذه

العلامات سابقا ورفض عقله الربط بينها ليصل لتلك النتيجة التي صفعه الطبيب بها منذ قليل

.

كان يعلم أنه ليس بخير ورغم ذلك لم يفكر فى التحدث إليه ، تركه يعانى إهمال والدته المتعمد دون أن يمد له يد المساعدة ، دون أن يقدم له دعما يدفعه للتحرر من أفكاره التى يثق أنها تسيطر عليه بشكل كامل كونه الأبن الأقل شئنا بين إخوته.

ظل شاكر دقائق يتطلع ل محمود الغائب عن الوعى بفعل العقاقير الطبية قبل أن يتحرك للخارج مجددا ، أوقفته زوجته التى تريد مغادرة المشفى : شاكر الدكتور قال ايه هنخرجوا إمته ؟ شاكر انى بنكلمك رد عليا زى الخلق.

ليتركها شاكر تثرثر ويتجه نحو رفاقه ، وقف أمامهم ليسرع إليه حسين : خير يا عم شاكر ؟ محمود حصله حاجة ؟

لم يجب شاكر بل ظل صامتا يتفحص الأوجه ، لم يخف عليه تهرب نظرات مسعد وسمير منه وصراخهما الصامت ليتوقف عن التحديق بهما ، صفعتهما نظراته وواجههما إتهامه الذى لم ينطق به ، إقترب حسين ليهز شاكر برفق : عم شاكر مالك ؟

ابتعد شاكر دون أن يتحدث ليقول سمير : بينا يا جدع نمشوا من هنا الحكاية دى مش هتعدى على خير.

توقف حسين أمامهما ناظرا ل مسعد بغضب : بتهرب بعد ما غرقته ؟ طبعا كل همك روحك

...

قاطعه سمير : محمود مش صغير واحنا ماغصبنهوش يا حسين ..هو انت لما قلت مش كيفى حد غصب عليك ؟

صمت حسين مكرها فهو مرغم على الإعتراف أن سمير محق ، رغم دفعهما له ولمحمود لتجرع تلك السموم إلا أن محمود كان مهيأ نفسيا لتقبل ذلك الدفع ومستعد للخضوع له فقط هربا من واقع يكرهه.

هو أيضا معترف أن محمود مخطئ ، إن هرب الجميع من مواجهة واقعهم فمن سيتحمل تحديات الحياة ؟؟

من سيبنى قواعد المستقبل ؟؟

من سيعنى بمن يزل ؟؟

طال شرود حسين ليستغل مسعد ذلك مشيرا ل سمير الذى تسلل بخفة ليختفيا فى لحظات.

****

غادر شاكر المشفى ليغيب لثلاث ساعات دون أن يبلغ زوجته عن مكانه مما أثار حفيظتها وغضبها ، بدأ ولديه يحاولان مهاتفته بلا فائدة أيضا لقد اختفى تماما ويرفض إجابة هاتفه.

خلال الساعات الثلاث افاق محمود من تأثير المخدر لكنه مشوش بما فيه الكفاية فلم يفهم منه اخويه وظنا أنه لا يزال متأثرا بالمخدر فهو لم يتوقف عن الاعتذار دون سبب واضح له فارجعاه لتشوشه وألقيا عن عاتقهما ضرورة

ملاحظته أو الاهتمام به.

اقترب حسين وهو الوحيد حاليا الذى يفهم سبب هذا الندم وهذا العذاب بلهجة محمود ولم يحاول أخويه التفهم بل غادرا لاحقين ب سعاد التى خرجت بحجة أن المكان يزدحم بالرجال.

جلس حسين بطرف الفراش ليجفف تعرق صديقه مهدئا من فزعه : ماتشلش هم يا صاحبى تعلقت به نظرات محمود الزائغة : بابا فين يا حسين ؟ هو عرف مش كده ؟؟ انى محقوق وغلطان وفهمنا غلطى بس كلمه يا حسين .. أنى مانقدرش على غضبه عليا يا حسين

وبدأ يبكى ليربت حسين فوق رأسه مشجعا : ما خلاص يا جدع قولنالك ماتشلش هم .. عم شاكر عمره ما يقسي عليك يا حودة . بلاش

شغل عيال كلنا بنغلط هنعلق لبعض المشانق يعنى!!

نظر له محمود واكتفى ببكائه الصامت ، يتمنى أن يرى أبيه ليعتذر منه على انسياقه وراء هذا الوهم الذى لا زالت تبعاته تمزق خلاياه ألما.

****

أقبل شاكر لتقف سعاد بتحفز : انت كنت فين وسايبنا مرمين الرمية دى ؟

لم يلتفت لها شاكر ليتجه نحوه محمد : بابا هنروحوا دلوقت !! نيجوا انى وحامد نشيل محمود ؟

تبعهما حامد بصمت فصمت شاكر ينبئ بأمر سيئ ، كان حسين لا يزال برفقة محمود الذى

عادت روحه بعودة أبيه وزاد تجهم وجهه من إحتقاره ذاته : بابا حقك عليا .. انى هنبطل والله .. بابا انى فهمت غلط وفكرت أنى هنحكم روحى .. بابا رد عليا انى..

نظر له شاكر أخيرا ليبتلع حروفه ويصمت فورا ، تلك النظرة بعينى أبيه ذبحته حرفيا مزيجا من الألم والحنان وخيبة الأمل ، نظرة ما تخيل أن يرى مثلها بعين أبيه يوما ، طالما كان أبيه هو داعمه مع تجاهل أمه المتعمد.

صمت محمود وعاد للبكاء ، تجمعت الدموع بعينى شاكر أيضا لكنه رفض تحريرها ، تبادل محمد وحامد النظرات المتسائلة دون أن يفهما ما يحدث ، مؤكد أن محمود أقدم على فعلة شنعاء كم يرغبا فى الكشف عنها!!

سحب شاكر عينيه بعيدا عن محمود لينظر لهما : واقفين ليه ؟ شيلوا اخوكم علي العربية.

تحركا فورا وساعدهما حسين لحمله ، تأوهات محمود تدمى القلوب وبكاءه كذلك.

وضعاه بالمقعد المجاور للسائق لينظر لهما : روحوا انتو مع امكم وانى هنحصلكم.

اقتربت سعاد بغضب : جرى إيه يا شاكر ؟ تغطس وتقب وقالب لنا وشك وكمان مش هتروحنا ؟ ما انت كده كده مروح ولا هو افترا والسلام . إيه يعنى حصل لده كله ؟ ما هو محمود بخير وخلصنا.

نظر لها حتى أنهت حديثها ليقول بهدوء : روحى يا سعاد انى مش هنروح دلوقت.

واستقل السيارة ليقودها فورا ليتساءل حامد : هو فى إيه يا ماما ؟

زفرت سعاد بغضب : انى عارفة !! بينا نروحوا هو حر فى ابنه انى عاوزة نقفل الدكان بقينا نص الليل وام مسعد قاعدة مكانى من ساعتها طول عمره واجع قلبى لا بيريحنى ولا بيريح روحه .. عيل متعب وقلته احسن منه...

لقى حديثها صدى فى قلب محمد فبدأ يجاريها بينما حامد مستمع صامت كعادته.

تبعاها ليقف حسين بعد إنصرافهم محدثا نفسه : والله حودة معذور يهرب من العيشة دى !! بقى دى ام ابنها كان هيموت من كام ساعة!!

****

ظل شاكر ملتزم بصمته ومحمود يسترق النظرات له دون أن يجرؤ على التحدث مجددا ، قاد السيارة حتى اقترب من قصر المنتزة ليتوقف جانبا وعينيه تتطلع خارجا لأمواج البحر الباردة متلمسا بعض البرودة لغليانه الداخلى.

طال الوقت لينظر له اخيرا متسائلا بألم : ليه يا بنى عملت ف روحك كده ؟؟ قصرنا معاك ف إيه يا محمود ؟

تسللت دمعات محمود : أنى حاسس انى مش موجود .. محمد مابيفكرش غير فى نفسه وخطيبته وأمته يتجوز .. وحامد مابيفكرش غير فى إنه ينجح ويبقى احسن من اخواته الكبار الفاشلين زى ما بيقول .. هيدخل الجامعة ويبقى استاذ .. وامى انى طول عمرى عندها زى الهوا .. تقول ل محمد انت اول فرحتى وتقول ل حامد انت حبيب

القلب وانى مالناش وجود .. هوا .. مش شيفانى ولا عاملة حسابى ولا تعرف عنى اى حاجة ، بنروح نشتغل معاها وبنطفح الكوتة ومفيش حتى كلمة طيبة ماتبطلش تدعى عليا وتهزقنا قدام الكبير والصغير ولا كأنى راجل .. بتحسسنى انى عيل صغير ده لو مشغلة عندها عيل هتخاف يسيب الدكان لكن انى لا مجبور نشتغل معاها ليه يا بابا حكمت عليا نشتغل معاها وانت عارف. إنها بتكرهنى .. ازاى عاوزنا نسمع دعاها عليا كل ساعة ونتحمل ؟؟ منين نجيب قلب يتحمل كل ده يا بابا..

صمت محمود ملتقطا أنفاسه ثم تابع : انى مش حاسس إن ليا أهل وعيلة .. انى بطولى يا بابا .. مش هنقول انضحك علينا .. انى من زمان كنا بناخد سيجارة ملفوفة لما نتخانق امى ولا مع

اخواتى لكن من يوم ما جربنا الكيف الملعون ماقدرناش نبطله.

نظرة حزينة إلتقت فيها الأعين وعينى محمود تصرخان لوم وندم : ليه انت كمان بتبعد عنى ؟؟ ليه ما سألتنيش انى عاوز نبقى إيه ؟؟

عاد للصمت لينظر لأبيه بندم : حقك عليا يا بابا . انى مالناش غيرك ماتسبنيش.
تنهد شاكر بألم : انت مش راجع البيت.

نظر له محمود بصدمة ليتابع : عاوزنى معاك ترضى باللى نقولك عليه

الفصل الرابع

صدم محمود ليسمع أبيه صوت إبتلاعه ريقه ويشعر برجفة بدنه ويدرك فورا لما يخيله له عقله من صور كاذبة فيتابع بثقة : انى مش هنسيبك يا حودة.

إلتقط أنفاسه وعاد يبكى ألما بدنيا اثر احتياجه للمخدر وألما نفسيا لما أوصل له أبيه الذى حرر بعضا من حمم عينيه الباكية هذا الصغير الذى لم ير من الحياة ما ينعمه بها يبحث عن نعيما وهميا مهلكا ؛ الان لا يمكنه إلقاء كل اللوم على زوجته ، هو ملام وربما عليه تحمل الشق الأكبر من اللوم ، هو صمت عن تفريقها بين أبنائه ، هو لم يمنح هذا الصغير ما يعوض ما نزعته منه من حنان وحب ، هو لم

يعترف بما طرأ عليه من تغير ولولا ذلك الحادث ربما أنكر للأبد رؤيته هذا التغيير.

قطع شاكر الصمت الذى فرض عليهما ليقول : انى شوفنالك مصحة كويسة ، على ما تخف رجلك تكون بطلته وترجع البيت زى الأول واحسن ، انى عارف انك هتتعب لكن انت كمان اعرف انى مستنيك ترجع لى ، ترجع لى حودة اللى الضحكة ماتفارقش وشه ابدا ماشى يا حودة ؟

اسرع حودة يكفف دموعه : ماشى يا بابا .. انى هنبطل نوعدك يا بابا هنبطل خلاص.

****

أودعه شاكر بالمصحة وتحدث مجددا مع

الطبيب الذى طلب منه عدم زيارته لإسبوعين على الأقل فالمريض فى هذه الفترة يكون عدائيا احيانا ومكتئبا أخرى ويفضل عدم اختلاطه بذويه فى تلك الفترة المؤلمة.

غادر شاكر بعد أن دفع مبلغا كبيرا من المال لإدارة المصحة لكنه لم يستطع أن يعود للمنزل ، ظل هائما بين الطرقات دون أن ينتبه حتى لمن يشير له ليقله ليفق من تيهه ذا مع نداء الصلاة للفجر.

عاد شاكر للمنزل مع ساعات الصباح الأولى ، نفس الموعد الذى إعتاد المغادرة فيه ، دخل لبيته بهدوء لتنشق شفتيه عن مرار مؤلم ، زوجته وولديه لم يهتما لغيابه ولا لعودته ، جميعهم ينام قرير العين وكأنه لم يغب عن المنزل.

تسلل لغرفته ليشعر برفض شديد لرؤيتها تغط فى نوم عميق فيتسلل للخارج مجددا ، ألقى همومه وبدنه فوق أحد الأرائك مغمضا عينيه هاربا من الواقع المختلط بألمه وأحزانه.

****

استسلم محمود للنوم اثر المهدئات التى حقن بها لتمرير ساعات الألم والتى لم يفلح المهدئ فى تمريرها بشكل كامل وبدأ محمود يستيقظ متألما فى بداية الأمر أحتمل الألم وجاهد ليستمر متحملا ومتحاملا على نفسه لكنه فشل بعد ساعة مع تملك الألم من خلاياه شعر بتمزق أنسجته ببطء ، عظامه تنخر بمنشار بارد لتزيده ألما ، رأسه سينفجر لا شك من شدة الألم ، أما عينيه فتدق بها مسامير مخترقة جمجمته ويشعر بنقاذها من الجانب الآخر لرأسه.

بدأ يأن ليتحول أنينه بعد قليل لتأوهات مؤلمة وسرعان ما تحولت تأوهاته لصرخات ترتفع وتيرتها ورغم ذلك لم يحاول أحد مساعدته حتى حان موعد المهدئ كما قرر الطبيب الذى ينصب اهتمامه الأكبر على به أكثر هو ما سيجنيه من مال لقاء تعافيه أو عدمه ففى الحالتين سيصب المال بحسابه الذى سيمكنه من توسيع المصحة وربما افتتاح أخرى فقد أصبح الإدمان بين الشباب يسرى كنسمات إعصارية بين حديقة خربة فيسقط أشجارها تباعا. وغالبا ما يعود المتعافى بعد أشهر قليلة ليعيد كرة التعافى.

****

استيقظ شاكر على دفعات من كف سعاد

متذمرة : جرى إيه يا شاكر بقينا الضهر وانت نايم ولا على بالك !! التاكسي هيمشى لوحده يعنى ولا إيه ؟؟ والواد حودة فين ؟ حتى وهو مكسور مابيهمدش ؟؟ ربنا يهده البعيد زى ما هو تاعب قلبى...

اعتدل شاكر جالسا يفرك عينيه بإرهاق واضح واحتفظ بصمته حتى بدأت تدعو بقلب متحجر فإنتفض وهذه المرة استمرت نفضته حتى استقر كفه فوق وجهها صافعا.

اتسعت عينيها لفعلته بينما انقض ممسكا عضديها وهو يهزها بقوة : انت ايه ماعندكيش رحمة ؟؟ ده ابنك يا مفترية !! كرهتى الواد فى عيشته لما راح يدور على اى حاجة تنسيه الهم والوجع .. حرام عليك ده عيل عوده اخضر ..

وكأنها لم تسمع كل ما قيل وتوقفت عند تلك الصفعة لتشير لصدرها بإستنكار : بتضربنى يا شاكر .. بعد ما اتحملنا معاك الفقر والقرف دى اخرتها!!

دفعها للخلف مبتعدا عنها : انى بنقول ايه وانت بتقولى إيه !! بنقولك شوفى ابنك اللى هيضيع .. بنقولك اتقى اللّه فى ضناكى

ارتفعت شفتها العليا بتهكم : ابنى !! ابنى اللى خرج من البيت حتى وهو مكسور !! ابنى اللى مابيطقش يقعد معانا يوم على بعضه!!

نظر لها شاكر بحزن وصرخ بألم : ابنك ما رجعش البيت علشان يخرج ..ابنك فى مصحة ..

ابنك مدمن يا ست ياللى مش شايفة غير روحك .. بتعايرينا انك استحملت الفقر !! ما انى كمان استحملنا بطرك وظلمك ولسانك اللى زى المبرد.

ابتعد عنها : انى هنسيبلك البيت ونمشى احسن ..

انتفضت مع صفعة الباب لتنظر إليه مرددة : مدمن !! يعنى مش كفاية فاشل كمان مدمن ؟؟

****

كان على شاكر أن يجد فى عمله فعليه إلتزاما جديدا بدفع إقامة محمود داخل المصحة حتى يتعافى وليس هذا بالأمر الهين فالمبالغ المستحقة كبيرة ورغم تأثير ذلك على ساعات

راحته التى هى قليلة بالفعل لم يتقاعس عن ذلك.

عاد بعد عدة أيام من عمله ليجد زوجته وولديه مجتمعين على غير العادة بينما دله تجهم الوجوه عن شجار بين ثلاثتهم لذا تساءل فورا : خير وشكم مقلوب ليه ؟

اسرع محمد بغضب : خطيبتى اتخانقت معايا وهددت تفسخ الخطوبة .. قال مابقناش نشرفها بأخويا الشمام.

وتابع حامد : وانى بقا مايشرفنيش إنه يبقى اخويا من أصله وإذا رجعتوه على البيت انى هنسيب البيت ونطفش.

نظر لهما شاكر ثم نظر لزوجته : انتم مين

قالكم إن اخوكم شمام..

اقترب من محمد : خطيبتك عرفت منين يا حمو ؟؟ وتعرف ليه من أصله ؟؟

نظر محمد نحو أمه وتلعثم ليواجهها شاكر : انت اللى عرفتيهم مش كده ؟؟

تلعثمت سعاد : أمها كانت بتكلمنى وكنا بنفضض بكلمتين يعنى ماكفرناش!!

مسح وجهه محاولا السيطرة على غضبه ثم نظر ل حامد : وانت ياللى عاوز تبقى استاذ هتتبرى من اخوك ؟؟

اندفع حامد متجاوزا أبيه : ونتبرا من اى حد يصغرنا قدام الناس

اقترب شاكر بخطوات متهالكة حتى وقف أمامه ، رفع حامد وجهه ينظر لأبيه ليستقبل وجهه كف أبيه صافعا فيرتد خطوة للخلف قبل أن يتحدث شاكر بهدوء مكذوب : اخوك هيرجع البيت واى قلة أصل من اى حد هرقده مكانه.

تقدم نحو زوجته بنفس الوجه : الدكان اللى انت قرفتينا بيه ده يتصفى ويتقفل ، شوفى بيتك وعيالك أولى من ام مسعد وام زفت بدل ما تحكى مع الستات وتفضحى ابنك راعيه وخلى بالك منه.

نظرت له بغضب : دكان إيه اللى يتقفل !! انت هترمى عليا قرف ابنك اللى ضيع نفسه .. انى مش هنقفل الدكان..

اتجهت نحو غرفتها صارخة : لو فيها طلاقى يا شاكر مش هنقفل الدكان ولا هنقعد لك فى البيت من أصله.

انسحب ولديها بمجرد انسحابها ليرى شاكر كم المعاناة التي عليه أن يواجهها فقد شكل ثلاثتهم جبهة ضده وضد محمود.

****

استيقظ شاكر فى الصباح فلم يجدها بالمنزل ، كذلك ولديه ، اتجه إلى المتجر ليجدها تجلس كالعادة برفقة أم مسعد تتهامسان.

نظرت له واشاحت وجهها ليقول : قومى على البيت عاوز نتكلم معاكى.

رفعت حاجبا واحدة ولوت شفتيها : انى عند اخويا ومالناش كلام معاك..

زفر بضيق : قومى يا سعاد مش هنحكوا قدام الخلق!!

عادت تتململ بجلستها : ومانتكلموش ليه إن شاء اللّه !! ماسك علينا زلة ولا كاسر عينا بغلطة !!

أصدر فكه صريرا مزعجا وهو ينهرها : يا سعاد قومى نروحوا بيتنا

أشاحت وجهها بنفور ليشيح بذراعه مغادرا : خلاص خليكى عند اخوكى .. خليه ينفعك .. ولية عاوزة قطع لسانها.

استقل سيارته وغادر فورا لتبتسم أم مسعد : اهو كده شاطرة .. خليه يروح لأخوكى إيه مالكيش رجالة ياخدوا حقك ؟

رفعت سعاد رأسها وقد زادت تلك الجرعات السامة التى تبثها بكلمات من عنادها وإصرارها أنها على حق وأن عليه أن يتحمل نتيجة الخطأ الذي وقع فيه ولده وحده.

الفصل الخامس

مرت عدة أيام وسعاد تلزم بيت أخيها وترفض العودة لمنزلها لم يتبعها ولديها لكنهما لم يتقبلا اخيهما أيضا ، ظل شاكر يدور فى فلك معاناته وحده لجمع المال الملزم بدفعه.

عاد للمنزل منهكا ليجد أخيها بانتظاره ويجلس ابنه الأكبر الذى سمى تيمنا به معه بتأفف وضجر واضحين ، تقدم منه مصافحا : ازيك يا ابو نسب ..منورنا.

صافحه محمد : ادينا عايشين

جلس شاكر فالتذمر صفة عائلية موروثة على ما يبدو فتجاهل ذلك : نعمل شى ولا نجيب عشا ؟؟

تهكمت ملامح محمد : لا تشكر انى مش جاى نضايف انى جاى نشوف صرفة معاك انت وسعاد.

لم يبد الاهتمام على شاكر بل احتفظ ببرود ملامحه : انى ماطردتش اختك يا محمد .. فيها ايه لما نقولها راعى بيتك وعيالك ؟؟

انتفخت اوداج محمد شامتا : ما هي ماقالتش لحودة يشم علشان تحاسبها !! وبعدين ما كل العيال دلوقتى بتضرب مخدرات ، مصحة إيه اللى رايح تدخله فيها وتضيع عليه شقاك وتعبك ؟ هو لما يتعب هيبطل من روحه.

كلمات أخيها كانت صفعات متتالية تلقاها قلب شاكر ، زوجته لازالت تتفوه بكل ما يحدث لهم بلا تفكير.

بأى حق يحاسبه هذا الأرعن عن تطبيب ولده!!

بأى حق يتدخل فى شئون خاصة بهذه الصفاقة !!

وقف محافظا على هيئته الهادئة خارجيا : اول هام اختك عاوزة ترجع براحتها ده بيتها وانى مانسناش العشرة .. تانى هام لا انت ولا غيرك يعرفنى نعمل ايه مع ولادى ولا يحاسبنا على اللى نملكه انى حر فى بيتى وولادى وبالإذن انت مش غريب انى داخل ننام.

تحرك شاكر مبتعدا لينتفض محمد غاضبا : سعاد طالبة الطلاق وبعد كلامك ده انى موافقها عليه .. بقى علشان حتة عيل شمام تضيع البيت كله .. كان حد ضربه على أيده !!

ورايح تدخله مصحة كمان وتقول ياللى ماتعرفش اعرف

قاطعه شاكر : مش انى اللى بنقول ياللى ماتعرفش اعرف ..البركة في الست اختك اللى مابيتبلش فى بؤها فولة .. وعاوزة تطلق كمان !! ماشى انى هنطلقها.

واندفع للداخل صافقا الباب بحدة ليزداد احتقان الغضب بملامح محمد واندفع هو أيضا للخارج.

كان ابنها يراقب الحديث بصمت وحتى إندلاع نيران الطلاق لم تدفعه لإبداء رد فعل تجاه ما يحدث ، بل انتظر حتى تفرقا ليهز رأسه متأففا ويخرج هاتفه يطلب رقم خطيبته متجها لغرفته دون إكتراث لأى مما قيل.

****

مر ثلاثة أسابيع وسعاد تصر على موقفها وترفض العودة لمنزل زوجها ولم يحاول اى من ولديها إثنائها عن ذلك كذلك شاكر الذى أهمل الأمر كله ورفض الرضوخ لسطوتها مجددا ، كان فيما مضى يحاول جاهدا لبقاء البنيان الذى أسسه لأسرته ببقائها لكنها لم تشكر له محاولاته تلك وأهملت حتى تداعى أحد ركائز بنيانه وكاد يفقده.

أخيرا سمح الطبيب بزيارة شاكر لولده فألقى كل همومه أرضا ورسم سعادة لم يشق عليه إظهارها فهى نابعة من قلبه.

دخل ليتم تفتيش ما يحمله والذى لم يكن سوى وجبة من الدنيس المشوى الذى يعشقه صغيره

ثم سمح له بمقابلته فى حديقة المصحة.

تلفت حوله ليختار طاولة هادئة ويجلس منتظرا خروج محمود.

حين رأه شكر للطبيب عدم السماح برؤيته مسبقا ، كان الفتى شديد الشحوب والهزال يجلس فوقع مقعد متحرك يدفعه أحد الممرضين.

انتفض شاكر مقبلا عليه : حودة!!

تهلل وجه محمود لرؤية أبيه ، تلك الرؤية التى ساعدته فى ليالى الألم أملا فى الوصول إليها.

كان تهلل وجه الصغير كافيا ليتجاهل شاكر شحوبه وهزاله ، شكر الممرض وأخذ موضعه يدفع المقعد نحو الطاولة مثنيا على إرادة الصغير

: انى فخور بيك يا حودة .. انت غلبت السم وقريب إن شاء الله هترجع تنور البيت.

عادت بعضا من شجاعة الفتى : بجد يا بابا !! هنرجع البيت قريب ؟

لم يفكر شاكر فى الكذب فقال صراحة : لسه ماشوفناش الدكتور بس شوفنا لمعة عينك .. اللمعة بتاعة حودة اللى كلها شقاوة.

بدأ يخرج محتويات حقيبته : انى جبنالك دنيس .. لازم تأكله كله الغذا مهم اوى علشان ربنا يعافيك.

أتبع حديثه بتنظيف السمك وتقديمه ل محمود ، مرة يضعه بيده وأخرى بفمه ورغم شعور الفتى بالشبع لم يقبل شاكر إلا انهاءه طعامه كاملا.

****

أصبح شاكر يتردد إسبوعيا على المصحة لزيارة ولده معدا قصة ملفقة كل مرة عن غياب أمه وأخويه لكن الغريب أن محمود لم يسأل مطلقا لما لم يعده أى منهم ؟

وكأنه يتوقع هذا الجفاء وهذا الإهمال!!

لم تعد سعاد للمنزل ولم يتغير أى شىء ، محمد يتساءل دائما عن موعد إتمام زواجه واتخذ من غياب أمه ذريعة ليطالب بتعجيله زاعما أنه بحاجة للخدمة والونس.

أما حامد فقد إجتاز الاختبارات بتفوق دون أن يؤثر أيا مما حدث للأسرة على استيعابه وتحصيله فقد كان يتردد على منزل خاله بإستمرار فلم

يشعر بفقدان أمه لغيابها عن المنزل.

****

تعافى محمود بشكل كامل وأكد الطبيب أنه مستعد لمواجهة المجتمع من جديد ليهنأ قلب شاكر بما أنجزه وصغيره عازما على حسن رعايته مستقبلا ، لقد فهم جيدا أن التفاوت بين الأبناء وارد ولا يجب قياس استجابة وتحمل أحدهم على الأخر فلكل منهم قدرة تختلف عن الأخر.

وصل شاكر للمصحة ليحمل محمود للمنزل ، لم يكن يشعر شعورا جيدا خاصة مع نظرات ولديه صباحا لحظة اخبارهما بعودة محمود ، لم يخف عليه الرفض بملامحهما لكنه أيضا لم يعلق عليه وتجاهل رؤيته.

دفع كل المستحقات المتأخرة ليتوجه لغرفة محمود الذى كان متلهفا لحضوره.

فتح باب الغرفة مبتسما : أخيرا يا حودة!!

تهلل وجه محمود : اخيرا يا بابا هنرجع البيت !!

انى مش مصدق روحى.

ربت شاكر فوق صدره برضا : صدق يا حودة وكلها اسبوعين تفك الجبس ومش هنزلك شغل مع حد غريب انى هنطلع لك رخصة وتشتغل على التاكسى معايا نبدلوا مع بعض.

زاد تهلل محمود وهو لا يصدق أن حلمه أصبح قاب قوسين منه : بجد يا بابا !! ده انى بنسوق زى الجن

ضحك شاكر : ما انى عارف يلا نروحوا من هنا ولا عجبتك القعدة ؟؟

أمسك محمود عكازيه ليتجه للخارج مسرعا يتبعه والده حاملا حقيبة ملابسه.

وصلا للمنزل الذى كان هادئا للغاية ، كان صعود محمود صعبا بعكازيه لدرجة كبيرة اشعرت شاكر ببعض الغضب من محمد وحامد لتغيبهما عن استقبال محمود.

دخلا يستقبلهما الصمت ليتملك الحنين من محمود ويتساءل بتردد : امى فى الدكان ؟

توجه شاكر نحو غرفة محمود ليترك الحقيبة ويعود : امك سابت البيت يا حودة
ذابت البشاشة عن وجهه مرددا : سابت البيت !!
بسببى ؟؟

اسرع شاكر يزيح ظنونه جانبا : ابدا انخانقنا وياها علشان تقفل الدكان ماراضتش وسابت البيت وطلبت الطلاق كمان.

جلس محمود بوجوم ، لقد ساءت الأوضاع بشدة ، ربما كان سببا فى هذا السوء ويرفض أبيه إخباره بهذا ، لكن أمه ستفعل إن صحت ظنونه .. عليه رؤيتها فى أقرب وقت.

لاحظ شاكر شروده ليتساءل : سرحان فى إيه يا حودة ؟

هز رأسه نافضا شروده : ابدا يا بابا

جلس شاكر بجواره : مش هتقولنا مين اللي غواك للسم اللى كنت بتاخده ؟

شحب وجه محمود : يفيد بإيه يا بابا !! ربنا يبعدهم عننا.

نظر لأبيه بندم : انى مش هنعرف اى حد ماشى فى السكة دى تانى . ولا هنتعاطى السم ده تانى ماتخافش يا بابا.

جالس شاكر ولده لساعة قبل أن يدفعه الأخير لمتابعة العمل زاعما أنه سيخلد للراحة.

****

أنهى محمد عمله بالمصنع ليهاتف خطيبته أثناء العودة كعادته ، لم يخف عليها عودة أخيه للمنزل هذا اليوم لكنها لم تلزم الصمت كما فعل حين معرفته بعودة أخيه بل صرخت تخبره أنها لا تقبل أن تتزوج بمنزل يقيم فيه اخ يتعاطى المخدرات ، وأكدت له أن محمود لم يشف من المخدر بل مؤكدا كان يحصل عليه بطريقه أو بأخرى أثناء وجوده بالمصحة كما أخبرته أنها

لم تتجاوز عن كون أخيه مدمن إلا حبا له أما أن يعود هذا المدمن للمنزل الذى ستتزوج فيه فهذا لن تتجاوزه ولن تتقبله.

أنهى محمد المحادثة التى لم يحاول خلالها الدفاع عن شقيقه أمام هجومها بل صدق كل ما تدعيه رغم أنه لن يتزوجها بنفس الشقة بل بأخرى علوية ولن يكون لها أى خلطة ب محمود أو غيره.

لم يفكر محمد لما أقدم محمود على التعاطى ، لم يفكر أنه يريد أن يتجاوز تلك الزلة ، فكر فقط فى رغبته الخاصة وفى رغبات خطيبته ضاربا بكل شيء عرض الحائط.

ليس من الصعب الحصول على حليف ضد محمود ؛ حامد يكرهه بالفعل ويتبرأ منه وسيساعده فى

إعادة محمود إلى الشارع حيث ينتمى فى نظره ونظر خطيبته ونظر حامد أيضا.

الفصل السادس

لم يحتج محمد لمجهود كبير لتأجيج نيران الحقد بقلب حامد الذى وجده بصحبة أمه كالعادة ، دخل للمتجر وكانا يتناولان الطعام بصمت بعد إنصراف أم مسعد ، جلس واجما لتتساءل : مالك يا حمو!!

زفر بضيق شديد : حودة زمانه رجع البيت.
عادت تتساءل : ما يرجع فيها ايه ؟؟

ظهر غضب محمد : يرجع ازاى يعنى !! انى مانأمنش على مراتى فى بيت فيه واحد شمام .. ولا نأمن على روحى حتى .. انت فاكرة قاعدته فى المصحة دى خلته يبطل !! أول ما ينزل هيرجع للبودرة تانى هو أول واحد ماشوفنا كتير

كده!!

تغيرت ملامح سعاد بلمحة حزينة : يعنى هنعمل ايه !! هو ضيع نفسه وهيفضل ورا الهباب ده لما يموت أو ينمسك.

تحدث حامد فورا : نعمل كتير .. نطردوه من البيت يروح بقرفه بعيد عننا .. وإذا بابا هيحامى له يبقى نطفشه ونخليه هو يسيب البيت.

تهكمت ملامح محمد : هنعملوا له إيه يعنى!!

شرد بصر سعاد لتقول : إن جيتوا للحق يا ولاد الولا حودة طول عمره حسيس

بدلت نظرها بينهما وتابعت : اكتر منكم بكتير ما تسيبوه يمكن هو من نفسه عرف غلطه وبطل بصحيح.

نفى محمد الفكرة : بطل ولا مابطلش انى مانتشرفش قدام نسايبى بيه

وتابع حامد : وانى مانتشرفش بيه قدام اى حد .. يا انى يا هو فى البيت.

أسرعت تقتنص الفرصة : طب ماتيجوا انتو تقعدوا معايا عند خالكم!!

أشاح محمد بذراعه : نيجوا فين بس !! هو لولا الفلوس اللى بتديها لخالى كان قعدك عنده ..ولما نيجى ونسيب البيت نتجوز فين ؟؟

وكزته بصدره : هو انت مفيش فى دماغك غير الجواز ؟؟ يا ولا فوق لنفسك دى البت واكلة عقلك

نظر لهما حامد ببرود : انى مانسبش مكانى وبيتى وحقى لحد .. حتى لو اخويا ابن امى وابويا .. وبعدين نسيتى الفلوس اللى كانت بتنقص من إيراد الدكان ؟ اكيد كان بيسرقها ومش بعيد بعد شوية ياخد من جيوبنا كمان

أسرع محمد يؤيده : ما هو اخد حقنا واترمى فى المصحة والفلوس اللى انصرفت عليه كنا إحنا اولى بيها.

نظرت لهما ولم تعد المحاولة ، دخلت للمتجر إحدى الفتيات لتتخذ البيع والشراء ذريعة للتهرب مما يتحدثا عنه ، أغلقت أذنيها وكفت بصرها عما ينتوياه وكأن هذا الذى ينويان النكاية به ليس ولدها وكأن ألمه لا يعنيها!!

****

فى طريقه للمغادرة قابل شاكر حسين وأخبره عن عودة محمود للمنزل ليسرع الأخير يزور صديقه.

صعد الدرج بحماس ليطرق الباب وينتظر حتى رأى محمود عبره ، انفرجت اسارير محمود لرؤيته أيضا واستقبله بحفاوة فقد اشتاق الصحبة كثيرا وحسين خير من يصحب.

اعدا كوبين من الشاى وجلسا متجاورين ليقول حسين : نورت بيتك يا جدع .. اهو كده عاوزينك ترجع احسن من الاول .. بنقولك إيه ؟؟ ما تيجى تشتغل معايا على الأريب لما تفك الجبس واهو رزقى ورزقك على اللّه.

ربت محمود فوق كتفه شاكرا : كتر خيرك يا

حسين .. ابويا قالى وانى فى المصحة انك اشتريت اريب والله فرحنالك يا صاحبي.. انى هنشتغل مع ابويا على التاكس بس لحد ما نخلص إجراءات الرخصة ممكن ننزل معاك كام يوم .. انى مش عاوز نقعد فى البيت تانى ولا نتسكع فى الشوارع.

تنهد بألم : انى قرفان من نفسى ومن اللى كنا بنعملوه مع سمير ومسعد.

تجاوز حسين تلك النقطة : يا عم اللى فات مات خلينا نفكروا فى اللى جاى .. شوف عاوز تنزل امته وانى نعمل حسابى .. اصلا بننزل المالح لوحدى الجدعان اليومين دول شايفين الأريب قلة قيمة.

ارتشف محمود قطرات أخيرة بكوبه :

مايهمكش حد مادمت ماشى صح .. انى اتعلمنا إن الصح دايما طريقه صعب والجدعان بس اللى تقدر تعديه .. وانت جدع يا صاحبى وربنا هيكرمك من وسع.

****

وصل محمد وحامد بعد مغادرة حسين بقليل ، كان محمود بالمطبخ يقف متكئا على عكازيه يعد بعض الأرز والسلطة ، انتبه للحركة بالخارج ليهدأ شعلة الموقد ويتجه خارجا ، نظر لهما وتوجس من تجهم وجهيهما ، حاول رسم ابتسامة طبيعية : ازيكم ؟!

نظرا له بحده ليدور عائدا للمطبخ : عملنالكم رز وسلطة وحسين جايب سمك هنقليه.

أوقفه محمد : مالوش لزوم أكلنا مع أمى فى الدكان.

لم يتوقف محمود بل تابع تقدمه نحو الموقد ليأتى حامد : انت ليك عين ترجع البيت بعد ما فضحتنا وسط الخلق!!

انغرست كلماته بقلب محمود ليواجهه بحزن : حقكم عليا .. أنى عارف انى نقطة سودة فى حياتكم بس خلاص بطلنا ونوعدكم..

قاطعه محمد : الكلمتين دول تضحك بيهم على عقل ابوك.. انى وحامد شبان زيك وفاهمين كويس اللى بيغوى الكيف ده مابيبطلوش إلا بالموت.

زاغت نظرات محمود : لا بطلنا نحلف لكم على كتاب اللّه من يوم الحادثة ما شميناه.

تهكمت ملامحهما لتزعزع فورا دعائم ثقته التى

لم تتصلب بعد فتتحرك عينيه بسرعة كبيرة ويتعرق وجهه ويحاول أن يدافع عن موقفه الذى يراه ضعيفا ورآه بأعين شقيقيه واهيا.

تحدث محمود بتلعثم وتسارع رأه شقيقيه كذبا وتهربا ليزيدا من ضغطهما عليه ، أخبره محمد حماقات خطيبته وأخبره حامد أنه يتبرأ منه ، ظلا يجلداه بكلمات جارحة وظل يحاول أن يزود عن نفسه وكلما حاول كلما زادت شراسة كلماتهما.

صرخ أخيرا بيأس : كفاية بقا حرام عليكم انى اخوكم .. بدل ما تاخدوا ايدى علشان مانرجعش للبودرو واقفين تقطعوا فى جتتى!!

زاد غضبه ليتابع : عارف انى غلطنا لكن لو كان حد منكم جمبى ماكناش وقعنا فى

المصيبة دى من اساسه.

اندفع محمد نحوه ليجذبه فيختل توازنه ويسقط أحد عكازيه : انت هتعملهم علينا وتتمسكن علشان نصدقك !! عاوزنا نصدقك ؟

اسرع حامد يجذب ذراعه الأخر ليسقط عكازه الثانى ويقف محمود فوق ساق واحدة مترنحا بينهما بألم : هنقع حرام عليكم سيبونى فى حالى.

جذبه محمد ليساعده حامد وهو يحاول أن يجارى خطواتهما بقفزات متتالية ولم يتوقف لسانه عن الرجاء ليتركاه وكأن فى آذنهما وقرا.

هبطا الدرج يجرانه جرا دون الالتفات لعثراته ورجائه . دفعاه داخل المرأب المهجور والمزدحم

بقطع الخردوات التالفة ونفايات المنزل من أثاث مهترئ ، ترك محمد ذراعه ليتمسك ب حامد وتدور عينيه بفزع : انتو جيبتونا هنا ليه ؟ هتعملوا فينا إيه ؟

اخذ محمد يبحث بين النفايات عن شيء ما لينظر ل حامد برجاء : خلاص يا حامد سبنا نمشى .. هات لي العكاز وانى هنمشى والله

نظر حامد نحو أخيه الأكبر محاولا لفت انتباهه لهذا الرجاء الذى هو مقصدهما من الأساس ليأتى صراخ محمد : وتروح تعيط لابوك ويرجعك .. انى هنخلوك تقول حقى برقبتى.

وجد محمد ضالته لتتسع عينا محمود فزعا وهو يراه مقبلا ممسكا جنزيرا حديديا صدئا ،

جذبه من ملابسه وألقى به أرضا ليصرخ محمود محاولا انتزاع نفسه من براثن أخيه الذى أمسك بقدمه السليمة ليلف الجنزير حولها ناظرا ل حامد : انجر هات قفلين من فوق.

تحرك حامد فورا ليمسك محمود يدى محمد برجاء : وسيدى المرسى ماهنروح لابويا بس خلينا نمشى .. يا حمو حرام عليك انى اخوك .. خلاص يا اخى...

لكمه محمد فألقمه كلماته : مانسمعش صوتك .. انى هنربطك هنا يومين وبعدها نقولولك تعمل ايه واللى هنقوله تعمله ..فاااهم .

أومأ محمود بإنهزام وصمت وسرعان ما عاد حامد يحمل الأقفال ليربط محمد ساق أخيه بحلقة

حديدية مثبتة بالأرض ثم يحكم إغلاق الباب.

تقوقع محمود على نفسه ، توقع رفضا منهما لكنه لم يتوقع أن يكونا بهذه القسوة ، بكى نفسه بدمعات ساخنة وبكاه قلبه بدماء ملتهبة.

تبع حامد أخيه الأكبر هامسا : إيه اللى عملته ده يا حمو ؟؟ إحنا قولنا هنطفشوه بس ماااتفقناش على أذية.

نظر له محمد بحدة ثم دفعه أمامه صعودا : انت لسه صغير مش فاهم حاجة ومالاكش دعوة باللى عملته واياك نسمع لك حس.

تقدم حامد وقد توجس قلبه فورا من نوايا أخيه الأكبر لكن لتضامنه المسبق معه يعجز عن ردعه فأسكت وخزات ضميره بأنه سيتفقد

محمود لاحقا وأن محمود من أوقع نفسه في هذه الورطة.

****

عاد شاكر فى المساء وكان حامد بالخارج ومحمد يشاهد التلفاز بصمت ، بادله حديثا اعتياديا قبل أن يتوجه لغرفة محمود فيجدها خاوية ، عاد إليه متسائلا : اخوك فين يا حمو ؟

لم يزح محمد عينيه عن الشاشة : مانعرفش .. هو من امته بيقول رايح فين ؟

اصيب شاكر بالدهشة الممزوجة بخيبة الأمل : ازاى بس خرج وهو متجبس ؟؟ ده لسه خارج من المصحة من كام ساعة!!

اطفأ محمد التلفاز واتجه لغرفته : انزل دور عليه تلاقيه على القمة بيشم ولا بتسكع مع المقاطيع اللى شبهه.

اغلق محمد باب غرفته بينما شاكر لم يفق من صدمته بعد.

بعد قليل عاد لنفسه ليندفع خارجا يبحث عنه ، توجه لمنزل حسين أولا والذى أخبره بما دار بينهما وعزم محمود على الكد والجد لتزيد مخاوف شاكر.

أثناء بحثه تعثر ب مسعد الذى أنكر رؤيته محمود أو علمه بمغادرته للمصحة وكان ل سمير نفس الرد.

جاب شاكر الطرقات طيلة الليل ليعود مع بداية

الصباح مثقلا بالهموم.

ما إن شعر محمد أن أبيه سقط فى غفوة إرهاقه حتى توجه للمرأب وفك قيد محمود لخمس دقائق سامحا له بقضاء حاجته ، لم يحاول محمود أن يقاوم أخيه أو يستغيث بأحد ، فقط توجه للمرحاض وعاد مستسلما لدفعات محمد ذليلا منكسرا حتى قيده مجددا وتوجه لعمله مع تحذير من محاولة استغاثة لم يفكر فيها محمود مطلقا بل انصب تفكيره هذه اللحظة على كيفية الهروب من هذا الذل .. من هذا الألم .. من هذه الحياة غير المنصفة**********

الفصل السابع

مر يومين لم يلن قلب محمد ليطلق سراح أخيه بينما عزفت نفس محمود عن الحياة تماما وفى اليوم الثانى رفض تناول تلك اللقيمات المزرية التى يلقيها أخيه أمامه كأنه حيوانا يجود عليه بلقمة عفنة.

كاد شاكر يفقد عقله وقد بحث عن ولده فى كل مكان يتوقع وجوده فيه ثم فى اى مكان قد يلجأ إليه واخيرا هام يبحث عنه فى الطرقات يسانده حسين الذى بدأ يشك أن غياب محمود به شبهة جنائية وحامت كل ظنونه حول مسعد وسمير.

ظنت سعاد أن ولديها قاما بطرد شقيقهما

واكتفت بهذا الظن دون أن تحاول التأكد من صحته أو نفيه وكأن غياب محمود لا يعنى لها الكثير.

فى صباح اليوم الثالث قرر محمد عقاب أخيه لرفضه الطعام فلم يفك قيده ليقضى حاجته بل تركه وتوجه لعمله . وزاد جحوده فهدد حامد رافضا تفقده له و أكد عليه ألا يقترب منه إلا حين يطلب منه ذلك بنفسه فرضخ حامد خوفا من تحول محمد للبطش له أيضا.

كان محمود ملقى أرضا يرتجف بدنه ألما لتلك الأرضية الباردة الصلبة التى يراها أحن من قلبى شقيقيه فبرودتها رغما عنها وقسوتها جزء منها ورغم ذلك لم تلفظه عنها.

ارتفع ناظريه نحو رغيف الخبز او ما تبقى منه

ليرى بعض الفئران وقد اجتمعوا حوله ليأتوا على ما تبقى من إخوانهم ليلا.

ابتسم رغم كل ما يمر به وهو يرى تلك الأجسام المغطاة بالشعر القذر تأكل ما يفترض به أكله ؛ ألهذه الدرجة لا قيمة له!!

أبهذه الحقارة يراه أخويه!!

شدد من جمع فخذيه محاولا للمرة التى لا يتذكر عددها حبس بوله الذى أصبح حبسه شديد الألم.

قطرات ساخنة جادت بها عينيه تزامنا مع القطرات الساخنة التي بللت بنطاله ، شهق بألم شهقا شق صدره مباشرة ثم أجهش بالبكاء وبدأ فى الهزيان مناجيا أبيه يرجوه النجدة : انت فين

يا بابا ؟؟ نسيت حودة ؟؟ جعان يا بابا .. جعاان يا بابا .. هنموت يا بابا ..جعان يا بابا.

****

اقترب حسين بعد جولة بحثية فاشلة من المكان الذى يقف فيه مسعد دائما يوزع تلك السموم يرافقه سمير والذى يقوم بحراسته لقاء ما يجود به مسعد من مخدر.

تقدم منهما حسين ليهاجم مسعد فورا ممسكا رقبته : وديتو حودة فين ؟ انطق احسن وسيدى المرسى نخلص عليك وقتى.

شهق مسعد : وانى نعرف منين يا جدع ؟؟ ماشوفناش وشه من يوم ما دخل المصحة.

اسرع سمير يحاول تخليص رقبة مسعد من قبضتى حسين : جرى إيه يا حسين !! مش عاوزين نأذوك بلاش جنان.

دفع حسين مسعد للخلف متسائلا بصراخ : امال الأرض انشقت وبلعته !! انتو الاتنين ورا غيبته طبعا خوفتوا يبلغ عنكم.

مسد مسعد رقبته : قولنالك ماشوفناهوش يا جدع .. مش هنخاف منك يعنى لو اذيناه هنقول ولا انت ولا غيرك يهمنا .. انى باقى على العشرة وأننا متربين سوا لكن مرة تانية مش هنعديهالك.

أعاد سمير حسين بضع خطوات للخلف : دور على صاحبك بعيد عن هنا ولو جه الناحية دى هنشيعولك.

تقهقر حسين بقهر وجلس أرضا ليقترب منه مسعد : وعهد اللّه مانعرف عنه حاجة غير إن أمه قالت لأمى اخواته طردوه من البيت وراح لحال سبيله.

انتفض حسين مستنكرا : اخواته!!

أكد مسعد : ده اللى نعرفه واللى أمه قالته بلسانها لكن راح فين وجرى له إيه مانعرفش.

انطلق حسين تاركهما خلفه ، أيصل الجحود لهذه الدرجة!!

وإن فعلا لما لم يلجأ إليه!!

أوصل الأمر بهما لإيذائه!!

ترى ما الذي حدث ؟؟

عزم على التوجه لمنزل شاكر وإعلامه ويمكن سؤال سعاد عن صحة هذه الأقاويل

****

صف شاكر سيارته أمام المنزل وترجل عنها بكاهل مثقل ، قلبه لم يصدق أن محمود غادره بإرادته ، يخشى أن يلجأ للشرطة ؛ لقد غادر مصحة علاج الإدمان للتو ، بالطبع ستحوم حوله كل الافكار السيئة.

ماذا يفعل ؟؟

صعد عدة درجات متجها لشقته ليصله بكاء مكتوم ؛ جعان يا بابا.

انتفض شاكر هل يهذى ؟؟

هل خيل إليه عقله قرب محمود ؟؟

تصنم بدنه متلهفا للمزيد ليجود عليه الصوت مجددا لكن كلماته تطعن قلب شاكر بنصال باردة.

تلفت حوله باحثا عن إمكانية وجوده لتتجه عينيه نحو باب المرأب المهجور ، جر قدميه نحوه ليصله بكاء محمود الذى دفعه لاقتحام الباب وعينيه تخترق الظلمة حتى توقفت عند كومه من بدن بشرى ملقاه أرضا.

ظن محمود أن القادم أحد أخويه ليبتلع أنينه وكلماته مطبقا شفتيه بقوة وفزع.

هرولت الاقدام نحوه ليجثو أبيه أرضا : محمود!!

حاول تحريكه لينتبه لتلك السلسلة المقيد بها للأرض ، اجتاحه الفزع بينما فتح محمود عينيه غير مصدق وجود أبيه.

فتح فمه ليسيل لعابه أيضا من شدة البكاء وقد فشل فى إيجاد كلمات يعبر بها عن حاله.

ضم أبيه رأسه لصدره ولازالت عينيه تدور بفزع : مين عمل فيك كده يا محمود ؟؟ رد عليا يا بنى ؟؟

تحسس كفه ولده ليصل لبنطاله المبتل وفورا صرخ محمود قهرا دافنا رأسه بصدر أبيه بخزى.

أمسك شاكر السلسلة وجذبها بقوة : مين معاه المفاتيح ؟

لم يجب محمود ليتابع شاكر : هو فى غيرهم فى البيت!!

انطلق ليتعلق محمود بساقه : ماتسبنيش هنا يا بابا

عاد يجثو مطمئنا : هنجيب المفتاح ونخرجك ماتخافش مش هنسيبك يا حبيبي .. مش هنسيبك

خلص ساقه من قبضة محمود لينطلق للأعلى ، اقتحم غرفة محمد ليجدها فارغة . بدأ يفتح الأدراج بجنون غير عابئ لما يسقط أرضا ، بعثر محتويات الخزانة أرضا وألقى بالفراش أيضا.

ليتوقف مع تذمر حامد : إيه الدوشة دى على الصبح ؟؟

انتفض حامد مع هجوم أبيه الذى أمسكه من ملابسه : فين مفتاح الجنزير ؟ رابطين اخوكم وجايلكم نوم !! انتو مش بنى ادمين .. فين

المفتاح انطق.

تلقى عدة صفعات لم تفلح فى إنهاء صدمته ليقول بفزع : مانعرفش .. مع محمد المفتاح مع محمد.

جذبه والده نحو غرفته حتى ألقاه فيها واغلق الباب ونزع المفتاح ليدسه بجيبه.

هرول شاكر نزولا ليصطدم ب حسين ، نظر له بحيرة ؛ لن يقبل أن يرى محمود بهذه الحالة لذا ورغم علمه بقلقه تجاوزه مسرعا : ساعة يا حسين وعدى علينا.

حاول حسين اللحاق به : يا عمى فى حاجة مهمة

لكن شاكر لم يستمع واستقل السيارة منطلقا بسرعة.

وقف حسين فى حيرة من أمره ثم عزم على التحدث ل سعاد ، لا يمكن أن تكون بهذا الجحود.

وصل للمتجر فى دقائق لتتأفف لرؤيته لكنه لم يهتم بل اقتحم المتجر بحدة : صحيح حمو وحامد طردوا حودة ؟؟

بهتت سعاد لكنها تماسكت : وانت مالك ؟؟ هتبقى احن على اخوهم منهم!!

هز رأسه بأسف : انى احن عليه منك انت .. انت ام انت !! ده انى كل ما نبص فى وشك نروح نبوس ايد امى ورجلها .. عملتى إيه لاولادك ؟؟ علمتيهم إيه ؟؟ وكنت بتقولى على امى عاجزة !! العاجزة ضفرها برقبتك.

واندفع خارجا متجها لمنزله بالفعل ، عليه أن يصارح نفسه ليست صداقته لمحمود هى ما يحركه كليا ، بل رغبته فى رفع الظلم عنه ، لطالما رأى تنمر سيدات الحى على أمه لإصابتها بشلل الأطفال ، كان يسمع همساتهن ويغمض عينيه عن نظراتهن ، لكنه يعترف أن العجز ليس سوى حاجز عقلى يعوق الإنسان عن التقدم ، فها هو يرى ام مسعد ؛ صحيحة البدن معتلة الروح . وتلك المرأة أيضا صحيحة البدن خاوية الصدر ، يحمد اللّه على أمه صاحبة العقل الواعي والقلب الرحيم ، سيعود للبحث عن محمود ، لن يتركه فريسة لتنمر لأخويه وقسوة أمه لكن قبل اى شئ سيقبل قدم أمه المصابة والتى لم تكن عائقا أمامها أو أمامهم.

****

فى خلال دقائق وصل شاكر للمصنع الذى يعمل به محمد وأسرع يستأذن رئيسه لمقابلته بشأن هام وكان الرجل كريما بما يكفى ليسمح له بلقائه.

دخل شاكر مندفعا فالمصنع صغير وليس من الصعب الدخول لغرفة الماكينات . ما إن رأى محمد حتى أسرع نحوه ليتعجب محمد : بابا!!!

فكان جواب شاكر عدة صفعات أعادت محمد للخلف بينما تجمهر زملائه للزود عنه ، شعر شاكر بكثرتهم فصاح : حابس اخوك يا ... رابطه بجنزير يا عديم الرحمة !! عملك ايه علشان تبهدله بالشكل ده !! كل ده علشان السنيورة اللى انت جراك من رقبتك زى ... بكرة تبيع وتشترى فيك

بدأ الجمع ينفض شخصا يليه شخصا ، ما صرخ به شاكر هز قلوبهم لتثور رافضة الزود عن شخص بهذه الوضاعة.

حين شعر شاكر بقدرته على الإفلات ممن بقى منهم صرخ مجددا : هات مفاتيح الجنزير يا ... والله فى سماه الغندورة بتاعتك ماداخلة بيتى وإن ماكانتش هى ترميك مانبقاش انى.

أخرج محمد المفتاح ليجذبه أحد زملائه ويرمقه بتقزز ثم يقترب مقدمه لشاكر وناهرا زملائه : سيبوه يا جدع انت وهو البعدا مفيش احساس.

ظفر شاكر بالمفتاح ليسرع للخارج تاركا محمد يتلقى صفع الإهانة والتهكم من زملائه مرغما ولا يدرى بأى وجه سيعود للمنزل.

لقد خطط لتعذيبه ثم صرفه من المنزل كى لا يتجرأ على العودة ، لكن علم أبيه بما يحدث لم يكن بحسبانه مطلقا.

لا ينكر إفراطه فى عقابه لكنه يستحق ، محمود هو العقبة الوحيدة التى تحول دون سعادته مع خطيبته التى هى كل ما تمنى بحياته ، بل هى محور حياته كلها.

ورغم ما أقدم عليه من جرم لا يغتفر إلا أن أفكاره لازالت تدور حول نفسه ورغباته وتلك الفتاة التى يظن أنها على حق فى كل ما تتفوه به.

الأخير

لم يستغرق شاكر الكثير من الوقت ليعود ل محمود لكن هذه الدقائق كانت للأخير بمثابة دهر كامل ، وكل لحظة تمر تزيد مخاوفه وتنمو ظنونه.

تنفس أخيرا حين رأى أبيه مقبلا عليه وبيده مفتاح تحرره من هذا الجحيم.

رفعه أبيه ليقف مترنحا فيحيط خصره بحزم : مش هتقع تانى يا حودة .. مش هتقع طول ما فينا نفس.

الأن يمكنه أن يسكن ويستريح فأبيه لن يخذله.

ساعده شاكر ليتحمم وألبسه ثيابا نظيفه ، لم ينس أنينه الشاكى بجوعه لكن عليه تنظيفه أولا.

وصل به لحجرته أخيرا ليهرول نحو المطبخ فيضع كل ما وجده بالبراد فوق صينية ليحملها إليه.

لم يرفع محمود عينيه ويواجه عينى أبيه منذ رفعه عن الأرض ، يشعر بخزى من حالته المزرية التى وجده عليها ، يشعر بالخجل لمساعدة أبيه لتنظيف نفسه من هذه الحالة .لكن رغما عنه أرغمه الجوع على التطلع إلى الصينية التي دخل أبيه يحملها بحماس : جبنالك الأكل معلش اتأخرنا عليك.

أيعتذر منه بعد كل ما فعله لأجله!!

لكم أخطأ فى حق هذا الرجل!!

كاد أن يزل فى بئر سحيقة مستسلما لوساوس اصدقاء السوء لمجرد أن دعى لذلك.

لماذا ؟؟ لمعاملة أمه له!!

ليس عليه أن يلقى اللوم عليها أو على غيرها بل عليه أن يواجه نفسه بضعفه وتخاذله.

كيف يطلب دعم شقيقيه وهو نفسه خذل نفسه ؟؟

لما لم يرفض ويتمسك بنفسه كما فعل حسين ؟؟

هل حسين أفضل حالا منه ؟؟

ربما يكون وضع حسين أسوأ من وضعه لكنه قوى يحسن الإختيار عكسه تماما.

لقد كاد أن يزل لولا دفع أبيه عنه لينجو. وهو لن يضيع مجهوداته سدى.

تعجب شاكر شروده لينبهه للطعام : انى كمان هنموت من الجوع.

قسم الرغيف لنصفين وقدم نصفه ليتقبله محمود فورا ويبدءا فى تناول الطعام مع ارتفاع طرقات أبتسم لها شاكر : اكيد حسين.

دقائق وكان حسين يعانق محمود بود ليقول شاكر : اقعد يا حسين ناكلوا لقمة سوا

لم يسأل حسين عن تغيب محمود لقد رأى شاكر

يعود وحده ف محمود لم يكن متغيبا كما ظن الجميع بل كان يخفيه أخويه لسبب لا يعرفه ، يكفيه أن يراه بخير وشئونهم الخاصة لا تعنيه ما يعنيه حصل عليه وهو الاطمئنان على سلامة محمود.

****

منذ دفع به أبيه للغرفة وأغلق عليه بابها وهو ينتظر عودة أبيه ليفتح الباب ويزيد عقابه.

سيعاقب لأجل المدمن ، لا يفهم كيف يرحب أبيه بإبن مدمن!!

كيف يدافع عن إبن بهذا المستوى من الفشل!!

كيف يتقبل إبن وصل لهذا الانحدار!!

وكيف يصدق أنه لن يعود للانحراف!!

أخيرا حسم أمره ؛ لن يسمح بهدر كرامته لأجل أى كان ، سيغادر المنزل ويلحق بوالدته ، سيلحق بمن تقدر نجاحه وتفرق بينه وبين الفشل ذاته المتمثل فى أخيه.

مر وقت طويل قبل أن يسمع المفتاح يدور بالباب مجددا ، تأهب للقادم ليفتح الباب عن أبيه الذى نظر له نظرة لم يفهمها وترك الباب مفتوحا وغادر بصمت.

****

أستلقى محمود بفراشه اخيرا دون أن تهجره أفكاره . لا يصدق أنه نجى من الهلاك الذى

كاد أن يطاله بيد إخوته.

لا ينكر أنه زل ، لكنه لا يريد أن يزل مجددا لا يريد أن يعود لهذا الطريق ، لقد نجا منه بالكثير من الألم الذى لا يريد أن يعايشه مجددا.

حاول أبيه أن يدفعه للتحدث عما حدث بينه وبين أخويه لكنه فضل الصمت ، لا يريد أن يزيد الأمر سوءا.

انتبه لأصوات عالية من الخارج تبين منها صوت أمه ، بحث عن عكازيه فلم يجدهما ولم يعلم كيف تخلص منهما أخويه.

نهض يستند إلى قطع الأثاث حتى وصل للباب.

****

فى طريق العودة من العمل مر محمد بمتجر أمه ليقص عليها ما حدث واسبغ فى وصف الخزى الذى شعر به بعد تصرف أبيه وضربه فى محل عمله والذى يعمل به أحد أقرباء خطيبته والتى ستستصغر شأنه حتما بعد ما حدث.

اندفعت سعاد للمنزل وارتقت الدرج بغضب ، فتحت الباب الذى لم تتخلص من مفتاحه لتجد شاكر يرتشف من كوب الشاى ويجلس براحة واضحة ، عاد ابنها خطوة للخلف مقدمها عليه لتتقدم بلا تردد : انت اجننت يا شاكر !! تضرب ابنك قدام زمايله وتصغره بالشكل ده!!

رفع شاكر عينيه ينظر لها : لما جرى يعيطلك زى العيال ماقلش كان عامل إيه فى اخوه !! بقالنا يومين هنموت من الخوف على الولا وهو

رابطه فى الجراج !! ابنك عديم الرحمة وبكرة تجربى بنفسك.

تخصرت بسوقية : هو فى حد زى حمو !! إيه يعنى لو حب يأدب اخوه شويه !! كفر ؟؟ اهو يربيه ما احنا ماعرفناش نربيه وبقى شمام.

لم ينفعل شاكر بل احتفظ بهدوئه كاملا : وبطل الحمدللّه وبكرة يبقى احسن واحد فى الدنيا .. كل الناس بتغلط .. اللى زى حودة يعترف إنه غلط وعاوز يبقى كويس هيبقى .. لكن الناس اللى شايفة نفسها صح علطول دى عمرها ما هتتغير .. الناس اللى فاكرة إنها احسن من غيرها عمرها ما هتتغير.. الناس اللى بتعين نفسها قاضى وتحكم على الناس عمرها ما هتتغير.

وقف أمامها ليتابع بنفس الهدوء : انت طالق يا سعاد وكل حقوقك هنشيعها مع ولادك.

صدمة نزلت كالصاعقة على رؤس الجميع ، اهتزوا جميعا حتى شاكر نفسه لم يكن يتمنى هذه النهاية لكنها أما سيئة للغاية لم تعن بأبنائها كما ينبغى ، لم تمنح أى منهم القدر الكافى من الاهتمام ولو بأقل تقدير ، لم تقدم النصيحة المرجوة حتى أخر لحظة ، ذهب لها ابنها ظالما فزادته ظلما تبعا لهواها.

ترك شاكر الجميع يبتلع صدمته واتجه نحو غرفة محمود ينهره : واقف على رجلك ليه ؟؟

دفعه للداخل وترك الباب مفتوحا بينما دارت سعاد على عقبيها وكأن ما حدث طبيعى بالنسبة لها ، لم تعترف بزلزلة كيانها فهى لم تتوقع

مطلقا أن يتخلى عنها شاكر بهذه السهولة ، ظنت أنه سيعانى حتى يعيدها إليه ليصفعها بالحقيقة المخزية لأنوثتها ، إنه يرفضها ويلفظها بمنتهى السهولة.

****

طلب محمود من أبيه أن يسمح له بالعمل برفقة حسين فترة وجيزة فقد يساعده الصيد ورفقة البحر على تجاوز كل ما مر به وبالاسرة ولم يرفض شاكر ذلك فهو يثق ب حسين كثيرا.

استمر عمل محمود بالصيد حتى شفيت ساقه تماما فغيابه بالبحر يهون قليلا من غياب أمه وأخويه اللذين تبعاها إلى منزل أخيها ليزيد لومه لنفسه وجلده لذاته لقد كانت الحياة تسير حقا لا تسير بشكل جيد لكنها لم تنته إلا..

بسببه وبسبب زلته المخزية.

مر عدة أشهر واستخرج محمود رخصته للقيادة وبدأ يصحب أبيه بعدة جولات بسيارته.

مع اشتداد البرد بدأ شاكر يستعين ب محمود للعمل فترة المساء وقد رحب محمود بذلك.

عاد محمود للمنزل مع انتصاف الليل فقد قل الزبائن ويفضل الخلود للراحة.

دخل ليجد أبيه ينتظره كالعادة وقد أشعل بوعاء قديم ركوة للتدفئة اسرع محمود يبسط كفيه فوقها : الجو الليلة برد اوى.

نهض شاكر نحو المطبخ : عملنالك عدس هيدفيك.

ضحك محمود ونزع سترته ليلحق بأبيه : احلى أكلة فى البرد ..الولا حسين هيجيب لنا سمك بكرة.

دقات مترددة على باب المنزل أسرت قلقا.

توقفا وتبادلا النظرات ليتعجب شاكر : مين هيجى لنا الساعة دى ؟

اتجه محمود للخارج : انى هنشوف مين

فتح الباب ليجد أمامه حامد يشد سترته حول بدنه اتقاءا للبرد ليتساءل فورا : حامد !! انت كويس ؟ امك وحمو بخير ؟؟ إيه نزلك فى البرد ده ؟؟

حاول حامد التبسم : مش تدخلنا الاول!!

أفسح له صائحا : بابا حامد جه

اندفع شاكر من المطبخ ليعيد نفس التساؤلات فيشعر حامد بالخجل من نفسه : عاوز نرجع نعيش معاكم .. مابنعرفش نذاكر من ولاد خالى وامى مش راضية ناخدوا شقة برة بتقول البيت ورث وليها فيه.

ضمه شاكر بود : مالناش صالح بحياتهم ده بيتك يا حامد وبيت ابوك.

اتجه محمود للمطبخ : وهنأكلوك عدس يا عم .

لا ينكر محمود مخاوفه من شقيقيه بعد ، لقد أصبح يخاف بطشهما بشدة لكنه أيضا لم يعد محمود الذى يرفضان لقد تغير كثيرا ويتمنى أن يقدرا ذلك ويتقبلاه بكل ماضيه وحاضره.

حدثهما حامد أثناء العشاء عن سوء أوضاع محمد ، لقد بدأ رئيسه بالعمل يتصيد له الأخطاء التي كان يتقبلها سابقا وانتهى الأمر بصرفه من المصنع ، كذلك فسخت خطيبته الخطبة متعللة بأنها لا تقبل الاقتران بعاطل لا عمل له ولا مسكن لينتهى الأمر به يساعد أمه فى المتجر وزادت خلافاتهما لرفضها دفع أجر ثابت له.

شعر شاكر بالأسى لأجله ، لقد تعمد القسوة حتى عانى منها.

****

أوقف محمود السيارة بجوار النصبة التى اتخذها حسين لبيع اسماكه ليترجل عن السيارة فورا :

ازيك يا صاحبي ؟

تهلل وجه حسين : اهلا يا حودة .. بقلنا يومين مابنشوفكش.

بدأ محمود ينتقى بعض الأسماك : كنا بنشتغل بالليل بس النهاردة ابويا تعبان قولنا ننزل اليوم كله.

وضع حسين الأسماك بحقيبة : كتير عليك يا جدع .. يا حودة صحتك.

أخرج محمود المال من جيبه : مانخبيش عليك عاوز نجيب تاكس ليا ونسيب تاكس ابويا قربنا نتحصل على المقدم.

وضع المال بجيب حسين : ابقى عدى السمك على ابويا وانت مروح وانى هنطلع على أكل عيشى.

فى عصر ذلك اليوم وبعد تناول الطعام عرض محمود على أبيه أن يصحبه لتناول الشاى بالخارج ووجدها شاكر فرصة جيدة ليحصل حامد على بعض الراحة أيضا كما أنها فرصة جيدة لتجاوز الماضى والمضى قدما في علاقة جيدة بين ولديه.

أوقف محمود السيارة بجوار تعريشة صغيرة ليتذمر حامد : انى فكرت هنقعدوا على كافية !! ماتستنضف يا حودة!

ضحك شاكر وقال محمود : بطل تحكم بالمظاهر لو الشى ماعجبكش هناخدك اى مطرح تانى تشاور عليه.

كانت تلك التعريشة تحوى بعض المقاعد ليلتف ثلاثتهم حول طاولة صغيرة فينادى

شاكر : الشى يا نوسة

نظر له محمود بدهشة : انت عارف المطرح بقا ؟؟

ضحك شاكر ولطم مؤخرة رأسه : نعرفه قبل منك يا خفيف

بدأت أصابع محمود تنقر فوق الطاولة مع صوت الأغنية التى بدأت للتو بمجرد جلوسهم.

من بحرى وبنحبوه

على القمة بنستنوه

أقبلت فتاة لم تتجاوز العشرين ربيعا : اهلا يا عم شاكر عاش من شافك.

ابتسم شاكر : عشت يا بحرية .. امك فين ؟

زادت بشاشة وجهها : بتجيب طلبات وزمانها جاية . هو الاسطى حودة ابنك ؟؟ انى بردو بنقول

أصله طيب.

رفع محمود حاجبيه ناظرا لها بدهشة لم تهتم لها بينما نظر لها حامد : هو لسه حد بيسمع الاغاني دى ؟؟

ضربت كفها بالأخر : هنعمل ايه بنحب واحد من بحرى وبنشغلها علشانه وهو ولا هنا.

ضحك شاكر مجددا : ماعندوش نظر

اتفخت اوداجها لمجاملته لتقترب حتى اتكأت فوق الطاولة متسائلة : إلا قولى يا عم شاكر هو الاسطى حودة عنده مشكلة فى عينه ؟؟

ارتفع حاجبا محمود بينما انفجر حامد ضاحكا لتنظر لهم وكأنها لم تقل شيئا : هنجيب لكم

الشى.

ابتعدت لينظر محمود لأخيه بغيظ : بتضحك على ايه ؟؟

وضع حامد كفه فوق صدره من شدة الضحك بينما هز شاكر رأسه : الواد الصغير فهم والبعيد جبلة.

نظر له محمود بإنكار ليمسك حامد كفه ويجذبه نحوه هامسا : البت بتحبك يا قفل.

ابتعد متابعا ضحكه لتزداد علامات الامتعاض بوجه محمود الذى اتخذت عينيه سبيلا لاختلاس نظرة لم تخل من السعادة وسرعان ما نكس رأسه مخفيا ابتسامة يجاهد لوأدها.

نظر له شاكر ثم ل حامد الذى بدأت الألفة تبدو بملامحه وهو يطالع المكان بفضول شديد

.

أقبلت تحمل أكواب الشاى لتتسع ابتسامة حامد ويضربه من تحت الطاولة لينتبه لها وهى تضع كوبا أمامه بود : سكر مظبوط يا اسطى زى ما بتحبه.

أومأ بصمت لتتأفف بصمت أيضا وتضع كوبا ل شاكر واخر ل حامد الذى استوقفها متسائلا : انت مش فى المدرسة ولا إيه ؟

التفتت تنظر له دون أن تتأثر بشاشة وجهها : خلصت الدبلوم السنة اللى فاتت وبنشتغل مع امى

.

جدعة

ردد حامد بفخر لتنصرف وصوتها يترنم : من بحرى وبنحبوه

أشاح محمود بوجهه هاربا من نظرات وضحكات حامد بينما فهم شاكر ما يعتمل بصدره فورا.

مساءا بعد عودة محمود وقد خلد حامد للنوم دخل شاكر لغرفة محمود ليجده واجما حزينا ، اقترب متسائلا : مالك يا حودة ؟

اعتدل محمود وقد افاق من شروده ليجيب بلا مراوغة : سمعت إن مسعد مات بجرعة مخدرات

زفر شاكر بحزن : اللّه يرحمه وبيدوروا على سمير ما الصيادين طلعوا مسعد من المالح كانوا فاكرينه غرقان.

أومأ محمود بتفهم ليغير شاكر الحديث فورا :

قولى بقا هنروحوا نطلبوا البت بحرية امته ؟؟

تبدل مزاج محمود فورا ونبض الخجل بملامحه :

نطلبوها إيه يا بابا !! انت صدقت حامد ؟؟

ضحك شاكر : يا حودة انت واخدنا مخصوص

نشوفها وعينك منها من الأساس.

ذهل محمود : هو باين علينا اوى كده!!

عاد ينظر أرضا : صراحة نخاف نترفض لما يسألوا

عنى

تجهم شاكر : ليه يا حودة ؟؟

لم يرفع عينيه عن الأرض : يعنى علشان

الحكاية القديمة والمصحة.

ربت شاكر فوق رأسه : إحنا مش هنخبوا

ونستنوهم يعرفوا أو مايعرفوش .. انت غلطت

وعرفت غلطك واللى يرضى بيك على كده اهلا وسهلا واللى ما يرضاش هو الخسران .. نام يا حودة وخليها على اللّه.

****

فى اليوم التالى وأثناء مناوبة شاكر للعمل على السيارة توجه لتلك التعريشة وطلب كوبا من الشاى احضرته له بحرية لينظر لها : امال فين الست هدى سلطان ؟
ابتسمت بود : اللى بنشغلها له تقلان علينا يا عم شاكر.

تنهد شاكر : مش يمكن خايف ؟؟ اقعدى يا بحرية هنتكلم معاك كلمتين.

جلست بحرية باهتمام : خير يا عم شاكر !!

خوف إيه اللى بتكلم عنه ؟

ارتشف شاكر قطرات من كوبه ليقول :
هنحكى لك حكاية مش قديمة

بدأ شاكر يتحدث وقد اختفت تعابير الدهشة عن وجه بحرية وهى تتابع ما يقصه شاكر حتى أنهى حديثه بعمل محمود وظروفه الحالية التي تؤهله لشراء سيارة خاصة به يريد أن يعمل بها فى منظومة الأجرة الحديثة.

عاد يتنهد : حودة راجل وجدع وانى نتشرف بيه قدام الناس كلها وعارف إنه حتى السيجارة دلوقتى مابيدوقهاش ونسى الكيف نهائى..

قاطعته بحرية وقد عادت إليها البشاشة : ولو مانساش انى مش بس ننسيه الكيف ده انى

ننسيه اسمه.

ضحك شاكر ملء قلبه : اهو حودة محتاج واحدة مجنونة زيك تنسيه اسمه صحيح هههههه

امتعضت ملامحها لوهلة قبل أن تنبسط مجددا مع اقتراب أمها لينظر لها شاكر ويباغتها بقوله : تتجوزينى يا نوسة ؟

بهتت نوسة لدرجة توقف خطواتها بينما ضربت بحرية صدرها : انت هتجوزنا ولا تجوز روحك يا عم شاكر.

الخاتمة

زادت صدمة نوسة وهى تنظر نحو ابنتها التى تهربت من نظراتها الحازمة بتلبية طلبات الزبائن : ايوه جاااية.

وتحركت لتصب نوسة اهتمامها على شاكر الذى تابع بهدوء : مش هتردى علينا يا نوسة ؟ جلست أمامه وقد زاد الحزم بصوتها : نرد على إيه بالظبط يا اسطى ؟؟

ابتسم شاكر : عاوز نجوزك وحودة عاوز يتجوز بحرية .. هى عارفة كل ظروفه وطبعا طلبى ليك مالوش دعوة بطلب حودة لبتك .. لو انت رفضانى ماتدخليش حودة وبحرية بنا .شاورى عقلك وهنفوت عليك كمان يومين.

ونهض ليرتشف اخر قطرات كوبه ثم يمضى تاركا نوسة فى حيرتها وأفكارها.

****

لم يزر محمود التعريشة منذ أخبره والده بطلبه وتجنب والده التحدث بهذا الشأن مجددا حتى مر يومين وعاد شاكر إلى نوسة ليحصل على قرار نهائي.

وصل لتستقبله بحرية بحفاوة وعتاب له من الظاهر ولولده الغائب من الباطن.

جلس متسائلا عن والدتها لتخبره أنها ستوافيه فور أن ينهى كوبا من الشاي ، قدمت له الكوب وقبل أن ينهيه أقبلت نوسة بالفعل لتجلس فورا :

منور يا اسطى

لاحظ احتفاظها بالرسمية لينظر لها : جينا نعرف رأيك.

نظرت نحو ابنتها مبتسمة : بحرية مش صغيرة وهى موافقة على حودة وقبلاه

نظر أيضا نحو بحرية مبتسما ثم حك أنفه متسائلا : وموضوعنا ؟؟

تبدلت ملامحها ونظرت أرضا لتنخفض نبرة صوتها : انت عارف انى مطلقة من زمان والخلق يعنى مابتسبش حد فى حاله .. قصدى نقول...

قاطعها شاكر : مالناش دعوة بالخلق انى بنيجى النصبة من سنين مش هنسأل حد بنسألك انت اختلست نظرة له : مش هتسأل أطلقنا ليه ؟؟

أشاح بوجهه : مايهمناش ولا لينا نسأل.

صمتت لحظات أشعلت نيرانا بصدره قبل أن تقول :
بس نأجل لما نجوز العيال.
التفت لها فورا لتشعر بالخجل فتتابع : مش معقول
نيجى ببنتى بيتك وابنك متكلم عليها.

لم يشعرا بإقتراب بحرية وتلصصها تتسمع ما
يقولان حتى أعلنت عن وجودها بزغرودة وصلت
عنان السماء وجمعت أعين الزبائن لتقول فورا :
عم شاكر طلب امى للجواز وهى وافقت

ضحك شاكر ونظر ل نوسة التى اكتسى وجهها
بالخجل ليقول : كنا فاكرينها مجنونة طلعت
ست العاقلين ولا إيه يا ونيسة.
نظرت له ليتابع : نوسة لكل الناس ونيسة لينا
بس

ثم نهض عن الطاولة متحدثا بصوت مرتفع : هنعدوا عليكم بكرة نشوف طلباتكم ونكتب اخر الاسبوع.

****

طلب شاكر من حامد دعوة محمد للمنزل ، جمع ثلاثتهم ليعلن نبأ زواجه المرتقب وكما توقع رفضه محمد.

اعلن أيضا موافقة بحرية للزواج من محمود الذى تفاجئ مثل شقيقيه هنأه حامد بينما انتفض محمد : وطبعا حاطط عينك على الشقة الفوقانية ؟

هربت السعادة التى خيمت على الجلسة بينما نظر محمود أرضا ليقول شاكر : انت هتحكم على

بيتى وانى عايش ؟

وقف محمود منهيا الخلاف ورافضا لحدوث اى شقاق جديد يكون هو أحد أسبابه فقال : الشقة الفوقانية بتاعتك يا حمو وعينى مش عليها ..انى هنأجر زى كل الناس.

نظر له شاكر بحدة ليتابع : لما الشقة اتبنت يا بابا بنفسك قولت أنها لحمو وهتفضل لحمو لحد ما ربنا يرزقه ببنت الحلال.

صمت شاكر فليس من شيمه نكث الوعد لذا كظم الغضب الذى أشعله ولده البكر فقد يكون زواجه بالمنزل هو ما سيعيد له بعض التقارب مع أخويه فهو الوحيد الذى يصر حتى الآن على اتباع أمه رغم ما بينهما من خلافات.

****

لم يواجه زواج شاكر أيه عقبات فتم عقد القران بينما حالت ظروف محمود المادية دون تلك الخطوة بهذا التوقيت واكتفى بتقديم محبس اكتفت به بحرية تماما.

ذات يوم صحبها للتنزه برفقة حامد الذى تأفف لهجر دروسه لتتنزههما ، أوقف السيارة بالقرب من معرض للسيارات المستعملة ليترجل بحماس : انزلوا نوريكم حاجة.

تبعاه ليشير لإحدى السيارات المعروضة : هنشتروا العربية دى إيه رأيكم ؟؟

تهلل وجه بحرية بينما إعترض حامد : بس دى مستعملة مش جديدة!

محمود : مانقدرش على سعر الجديد منها.

عاد حامد يعترض : طيب ماتخلى الميكانيكى يشوف لك عربية سعرها حنين

أجاب محمود : مانقدرش ندفع كاش .. المعرض هيقسط ومعانا المقدم بس قلنا نفرجكم عليها الأول.

صفقت بحرية بحماس : دى حلوة اوى يا حودة . بس هتقلبها تاكسى.

نفى محمود : لا هنشغلها فى اوبر

نظر له حامد باهتمام : واللّه فكرة ..انت كده محتاج موبايل اندرويد

حك محمود رأسه بخجل : هنستلقط واحد وانت علمنا عليه .. انى بنعرف بس مش اوى.

****

مر عام كامل تمكن خلاله محمود أن يستأجر شقة صغيرة ويعدها للزواج رافضا اى مساعدة من أبيه مكتفيا بما تلقاه مسبقا من دعم كان أساس قوى لتكوينه كشخص صلب يصعب على تحديات الحياة أن تسقطه مجددا.

تحدد يوم الزفاف الذى لم تحضره سعاد فهى تظن أنه اليوم الذى سيتزوج فيه شاكر أيضا وترفض مشاهدة أخرى تفوز بما خسرته رغم تكرار الحديث عن كرهها له.

عزم شاكر على الاكتفاء بإعلان زواجه المسبق وانتقال ونيسة لمنزله يكفيه فقد تمم زواجهما منذ فترة وكان يتردد على منزلها فهى ترفض الانتقال لمنزله قبل زفاف ابنتها فكان الاحتفال مقتصرا على زفاف محمود وبحرية.

منذ تم عقد القران تشبثت بذراعه ولم تفلته مجددا وكأنها ستضيع إن فعلت ، هو أيضا احب الشعور بتشبثها به الذى يشعره بقيمة قربه لها والتى تتوازى مع قيمة قربها له.

لقد عايش الحرمان من العاطفة سنوات طويلة ضربت بقلبه تصدعات أوشكت أن تؤدى لإنهياره لولا ما تلقاه من دعم أبيه لكان اليوم ميتا بكل الأحوال.

لقد أحياه أبيه ، لا ينكر ذلك مطلقا ، أحيا به ما قتله إهمال أمه ، أحيا به ما دفنه قسوة شقيقيه ، أحيا به قلبا كاد أن يهلكه.

لتأتى أخيرا تلك الرائعة المتشبثة به الأن وتبذر بهذا القلب براعم السعادة التى سرعان ما انبتت لتصبح ظلالها ملجأ لكليهما.

أغلق الباب دون أن تفلته بل أصبح تشبثهما مشتركا لينظر لها مطلقا أشواقه : يارب مانصحى من الحلم الجميل ده.

زادته قربا واندلاعا لبراكين شوقه وهى تتعلق بسترته : بس ده مش حلم يا حودة.

رفع أحد حاجبيه مدعيا التعجب : مش معقول الفرحة دى كلها حقيقة ..نتأكد طيب.

قبل أن تتساءل عن كيفية التأكد كانت أنفاسها حبيسة صدره وهو يتابع تأكده من واقعية فرحته.

تمـــــت بحمد اللّه